



سعادة نسيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م
ردمك 3 - 389 - 79 - 9947 - 978 (ISBN) :
التوزيع الدولي للكتاب: مصر، لبنان، العراق، الاردن، السودان

اسم العمل: سعادة نسيان

اسم المؤلف: سارة برينيس

تصميم الغلاف: بوغدو محمد إسلام

صبغة الكتاب: فكر وفلسفة

المدير العام / سميرة منصورى

إخراج: حمودة كوثر

الناشر / دار المثقف للنشر الجزائر

صفحة الدار على موقع فيسبوك:

<https://www.facebook.com/elmothakaf>

الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com

هاتف / فاكس 033 85 65 75 / 0666 76 28 50

المثقف للنشر والتوزيع



جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

سارة برينيس

سعادة نسيان



إهداء

إلى أصحاب الذاكرة القوية الذين نسوا

بسرعة..!

إلى الذين تذكروا رغم عمق نسيانهم..!

إلى الإنس المخلص الذي عندما التقى

مع مفلس الذكريات..شعر بتفاهة ما

يعيشه غيره..

إلى كل فان أهدانا مفهوم آخر للنسيان..

يرفع هذا الكتاب..ويهدى هذا العمل

مقدمة:

وبقي الإنسان نفسه في أطواره الثلاث من الطفولة والشباب والشيخوخة.. لم يتغير في كنيته وإسمه شيء.. إلا أن ملامحه وهياكله العامة بقيت تتغير معه كلما نط من مرحلة إلى أخرى.. حياته من بعيد تبدو متناسقة كبيت العنكبوت الذي يبهر العالم من دقة تفاصيله.. لكن واقعه هش مثل ذلك البيت بالضبط..! هش إلى تلك الدرجة التي يتعذر فيها معرفة مسببات الإحساس عنده.. فالحرارة تؤثر فيه.. والهواء يؤثر.. والضرب يؤثر.. والعناق يؤثر.. والقبلة تؤثر.. وكل شيء يؤثر..!

ويظل هذا الإنسان يعيش في سجن تلك المؤثرات.. التي تبقى عناصرها تلعب به لعبة كرة القدم.. وذلك في الوقت الذي يأخذ فيه هو دور الكرة..!

وفي وقت مستقطع قد يخرج ذلك الإنسان من سجن مؤثراته بتصريح وقتي.. فيتفاجئ بأن العالم من حوله قد تغير كثيرا في تفاصيله.. ربما قد تبقى المدارس والثانويات والمستشفيات و الشوارع المعهودة هي نفسها.. ولكن التغيير الحق يكمن في الأشخاص.. فقد أصبحت ملامحهم مع مرور

الوقت باهتة جدا ومخيفة في إيحائها إلى أقصى درجة..!
فيحدث أن نرى فجأة زميلة من زميلات أيام المدرسة مارة
علينا مع أولادها الصغار وهم ينادونها بماما.. ماما.. فنستغرب
كثيرا لأننا لم نحس بأن كل هذا الوقت قد مضى..
وكأننا وحدنا فقط من يكبر..!

ثم نبقى ننظر إلى هؤلاء الأطفال ونحن لا نستطيع أن نتذكر
أهمهم إلا بصورة البنت التي تحمل محفظة على ظهرها.. بذكريات
عميقة تتراقص في مخيلتنا حولها.. وكأن كل الماضي يعني لنا
الأمس القريب جدا..

ونبقى هكذا في دهشة وقتية نسأل أنفسنا كثير من الأسئلة الغير
مباشرة على نحو.. ترى كم بقي لنا من الزمن في حياتنا؟.. و هل
مازلنا نعيش على قدر ما عشنا؟.. و هل ستبقى لنا نفس الرغبة
ونفس نشوة السعادة على أشياء قتلنا أنفسنا عليها حزنا بالأمس
عندما لم نستطع الوصول إليها..؟

ثم بين كل لحظة ولحظة.. و سؤال و سؤال.. يبقى هذا
الناظر يتأمل تلك السرعة المخيفة للأيام والسنين بتواضع نفسي
كبير.. ويستشعر بهدوء انسحاب الحياة ومسيرها نحو الفناء!
وعلى مسطرة المسافات ينهي ذلك الإنسان الذي في داخلنا
والذي يحمل روح الفيلسوف مع ذاته حينها.. فلسفة أحزانه

الطويلة التي بدا شكلها غريبا جدا.. فطول مسافة ذاكرته هي نفسها طول مسافة عمره.. ولم يبدو أبدا بأن الذاكرة قد محت شيئا منها.. والعناوين المسطرة محفوظة ولم ينقص منها شيئا أبدا.. فتاريخ الميلاد محفوظ.. وتاريخ الحصول على شهادة البكالوريا والتخرج محفوظ.. وتاريخ الزواج وتاريخ وفاة الصديق أو الأخ أو الزوج أيضا محفوظ.. !

.. ننظر فلا نحس أبدا بأن كل ذلك الوقت قد مضى.. وأن السنين قد أكلت كل هذا الوقت.. وأكلت معه تفاصيل تلك الأحاسيس.. وأصبحت اليوم المشاعر جد باردة اتجاه كل ما كان يؤلم أو حتى يفرح بالأمس..!

والغريب في الأمر هو أننا عند وصولنا إلى تلك الحالة .. قد لا نتساءل عن السر الأعظم لموت جُل الأحاسيس فينا ودخولنا في عالم الغثيان .. لأننا لم نعد نبالي و لم نعد نأبه أصلا.. ولأننا استسلمنا لفكرة الرحيل الأبدي عن هذه الحياة.. وأن أحزاننا وذكرياتنا وآهاتنا وحتى أفراحنا هي في الأصل بلا وجود.. إلى درجة أنه لم يُهَيَأ لها أي مكان معنا في القبر.. ولم يتم حتى الاستفادة منها من دود التراب..!

نحن لا نعلم.. إنها الحقيقة.. !

اللغز

... كانت آخر مكالمة لاسلكية بين العقل و القلب.. في يوم
مرعب مليء بالدموع.. كان تاريخه غامضا ليس كمثل الأيام
العادية.. لأنه ببساطة تاريخ قد ألغى مصداقية كل التواريخ التي
قبله.. ففي ذلك اليوم.. بدا كل شيء وهمي... وكل وهم يحمل
في داخله ألغاز خدع كبيرة...!!

...القلب كان يتمزق بقوة كبيرة ويرسل رسائل عتاب صامتة تصل
إلى العقل مبللة بالدموع.. وبالرغم من صعوبة شفرتها إلا أن
العقل كان يفهم مقاصدها جيدا.. لأنها قد كانت تحمل نفس
معاني الرسائل التي كان يرسلها هو للقلب والتي كان مضمونها:
لماذا كذبت علي وتركتني أصدق كل تحليلاتك التي تبين بأنها
خاطئة تماما..!؟

كان الأمر يبدو على شكل لغز من دون أي حلول.. فمقترحاته
متناقضة.. ونتائج التخمينات فيه مختلفة رغم تشابه الطرق المتبعة..!
والمشكل الأكبر أن متاهة البحث في تفاصيل ذلك اللغز عن
جهل لها أن تفقدنا عذرية تصرفاتنا الصادقة.. لذلك ازداد هذا
اللغز عظمة.. وأصبح من التفاهة أن نرمي بأسرار أوجاعنا

للنسيان الذي تفرضه علينا الأيام.. وانما على أقل قدراتنا العقلية
فإنه قد بات علينا على الأقل البحث عن تفسيرات عقلية مقنعة
لإجابات باتت صريحة داخل النفس..

تُرى هل سنستطيع أن ننسى بسهولة ونرجع لحياتنا مباشرة؟
تري هل لقلوبنا وعقولنا مآرب أخرى للسعادة الحقيقية غير
ملذات الدنيا.. و هل سنسى من باب التسليم أم من باب القناعة
يا ترى..؟؟!

نسيان

يقول المهاتماغندي : « النسيان لا يأتي إليك .. أنت من يجب أن يذهب إليه »

إن ذهاب الإنسان إلى شيء غير ملموس .. هو بالضرورة يعني بأن يقين الحاجة الإنسانية قد أصبح على محك الإلحاح على عاطفة التجديد والتغيير .. والنهوض بأشكال جديدة تبعث في الروح ألوان قوس قزح .. وتبرهن للعالم بأن ما مضى قد أصبح من طي النسيان .. وأن السراب هو أعمق شكل لأشكال الحياة ..! .. فسراب الحب مثلا هو أول حقيقة ماتت بها القلوب .. وقل من أجلها نبضنا للدنيا .. وأصبحت كل الحقائق معيارية على هذا الحب ..! .. إلا أننا إن نظرنا إلى هذا الحب من بعيد لوجدنا بأن عاطفته أزلية .. فقد أصبح خيال رواية روميو وجولييت لا تقل واقعية عن قصص الحب الحقيقية لباريس وهيلين .. وعنصرة وعبله .. وكليوباترا ومارك أنتوني والتي جسدها هذه الأخيرة شكسبير على شكل مسرحية مأساوية بعنوان « أنطونيو وكليوباترا » .. وهو مثال صريح وضح فيه شكسبير بطريقة غير مباشرة أن الواقع لا يتعد كثيرا عن الخيال .. وأن الخيال ما هو إلا صنع من الواقع ..! .. وبالتالي فإن نظرية المهاتماغندي إذن أصبح فيها من الصحة الكثير .. فالمآسي الواقعية التي لا نستطيع أن نلتمس خرابها في

قلوب الآخرين بطريقة مباشرة.. ثم نقف فجأة تأثرا بها حينما تُعرض على خشبة المسارح.. أو عند عرضها عن طريق رسومات غامضة أو فنون شعرية و نثرية مؤثرة.. هي في الأصل ما هي إلا ترجمة لأحاسيس عميقة قد تكون حصرية.. وقد تكون جدا قديمة.. إلى درجة أنها قد تكون من ذكريات الطفولة والتي لم تأخذ فرصتها من التعبير في ذلك الحين.. وظلت هذه الذكريات مكبوتة ومختبئة وتزاحم تفاصيل المشاعر برقة ولطف دون أن تعطي بصمة مباشرة لها..!

.. إلى أن يأتي ذلك اليوم الذي تُستثار فيه تلك الأحاسيس.. وتثبت ذاتها على أرض الواقع بقوة كبيرة.. وتضع الإنسان في حرج غاية الدهشة.. وهو أن الذكريات القديمة إذن لا يمكن لها أن تُنسى.. وإنما تبقى محفوظة بشكل أزلي في الذاكرة.. ولها قابلية الاسترجاع في أي ظرف وفي أي لحظة وفي أي مكان...! .. وهذا الفن التشكيلي الإلهي الغامض لا يتوقف إبداعه عند محطات المخ فقط.. بل إننا نستطيع أن نفسر به أيضا ذاكرة الجسد لكل الأشياء..!

ثم نجد بعدها الأطباء يشرعون مباشرة بعمليات التلقيح للطفل الرضيع بعد ولادته.. والتي هي في الأصل عبارة عن إشعار

للجسد بضرورة تذكر ذلك الجسم الغريب.. مثل البكتيريا عند دخولها للجسم.. والنتيجة أن هذا الجسم حقا سيتذكر ما لقح ضده حتى بعد مرور سنين طويلة..!

وهنا الأمر يبدو محيرا.. فكيف لعالم داخلي فينا أن يتمتع بكل هذه الدقة في التذكر.. وهو لا يملك حتى الحواس الخمسة التي تجبره على التذكر.. فهو مجرد جزء من ذلك الإنسان الذي يمتلك عينا تحفظ الأشكال.. وأذنا تسجل الأصوات.. وأنفا يخبئ الرائحة.. ولمسا يُميز الإحساس.. والأعمق أن يمتلك ذاكرة تخزن كل هذا..

فهل لهذه الذاكرة إذن أن تنسى أرشيف حواسها بكل سهولة؟ .. وإن كان الأمر صعبا فإلى أي حد من الممكن للإنسان أن يتألم إذا أراد حقا أن ينسى بعضا من آلامه..؟

.. في مفهوم إحدى المقالات التي نشرت بأن الآراء السائدة ترد النسيان تارة إلى عدم الانتباه.. وأخرى إلى علل فيزيولوجية.. وثالث إلى عوامل نفسية وفيزيولوجية معا.. درس «فرويد» هذه النظرية وصرح بأنها ليست خاطئة من أساسها ولكنها بحاجة إلى التعديل.. إذ ليست جامعة لكل حالات النسيان.. أخذ

« فرويد » يدرس ما سماه « الأفعال الفاشلة ».. وهي تلك الحوادث البسيطة التي نصادفها في حياتنا اليومية كزلات اللسان وفلتات القلم وأخطاء السمع.. وكالنسيان الذي يظل لفترة معينة.. مثل نسيان اسم شخص أو موضع شيء ثم نتذكره بعد مدة قد تطول أو تقصر..

.. إن هذه الوقائع لو طلبنا تفسيرها من شخص عادي فإنه قد يستخف بنا في بادئ الأمر.. ثم يقول إنها أشياء تافهة.. في نظره يتحكم فيها عالم الصدفة ولا تحتاج إلى شرح أكثر من ذلك.. فإذا عدنا وسألناه ماذا تعني بذلك؟ هل تعني بأنه توجد حوادث تقع خارج ظواهر العالم وقد بلغت حدا من التفاهة؟ هنا سنجد أن الشخص سيتراجع ويحاول أن يجد علة لهذه الأفعال فيقول: إنها تحدث عندما يكون الإنسان منحرف المزاج أو متعبا.. أو عندما يستثار.. أو عندما يشرذ ذهنه عن الشيء الذي يقوله أو يقوم بأدائه..

لو أنعمنا النظر فيما أتى به هذا الشخص العادي لوجدنا أنه يقوم على عامل واحد.. هو عدم الانتباه.. وهو ينشأ نتيجة عوامل فيزيولوجية كالتعب والصداع والهزال.. أو عوامل نفسية فيسيولوجية كتشتت الفكرة.. الاستثارة..!

فهل حقا أن عدم الانتباه هو وحده الذي يوقع في فلتات اللسان فيجعل الخطيب يخطئ و يأتي بكلمة عكس المقصود مثلا ؟
يجيب « فرويد » بأن ذلك وإن كان عاملا مساعدا إلا أنه ليس العلة الحقيقية.. فماذا نقول إزاء نسيانه كلمة معينة على الرغم من توجيه الانتباه إليها وقول الشخص إنها على طرف لساني..!
يرى « فرويد » أن العلة الحقة هي الإضطراب في الانتباه لا العلة فيه.. فسبب هذه الأفعال هو اضطراب في الانتباه نشأ من تدخل مجرى آخر من الأفكار.. ففلتات اللسان مثلا هي نتيجة تداخل غرضين أثناء الكلام.. وتغلب أحد الغرضين يؤدي إلى تشويهه أو تحوير الكلمات والأسماء.. فتأتي الفلطة بمعنى تهكمي أو هزلي.. ويسري هذا على فلتات القلم وأخطاء السمع ونسيان الكلمات والأسماء لزمن معين.. فهذه كلها أفعال لها معنى.. إنها أفعال نفسية لها هدف خاص..

إن فكرة التقاء القوى هي الفكرة الأساسية لدى « فرويد » وأثرها ظاهر في تعبيره للنسيان.. فهو لا يرجعه إلى ضعف في الذاكرة.. وإنما يراه نتيجة دافع مكبوت بواسطة قوى معاكسة هو نتيجة اصطدام مؤثر لمحرك في طريقه إلى التصريف بمؤثر آخر.. فيؤدي ذلك إلى كبتة..

فالإسم المنسي أو الكلمة المنسية غالبا يكون لها علاقة بشخصية الفرد.. ويشيران فيه انفعالات عنيفة ومؤلمة.. وتبعاً لمدرسة زيورخ نستطيع أن نقول أنهما يمسان « عقدة شخصية » قد تكون هذه العقدة مهنية مثلاً.. كما نسي « فرويد » إسم مستشفى وهو لأنه يتصل بالأعصاب.. فمن أهم الدوافع التي تساعد على النسيان.. الميل إلى تحاشي عودة الألم إلى الذاكرة.. إذ أن كل شخص يود نسيان الأشياء المكدره أنه يوجد صراع نفسي مستمر لاستبعاد الخبرة المؤلمة من الشعور.. هكذا فالنسيان ليس إلا عملية دفاعية تتم بطريقة لا شعورية لتصل الأنا لحالة تتمتع فيها بالإرتياح.. كذلك يلاحظ أن الشيء قد ينسى لإرتباطه بشيء له أثر مؤلم ويأتي « فرويد » بمثال شاب غير موفق في حياته الزوجية لبرود الزوجة.. وفي ذات يوم قدمت له تلك الزوجة كتابا اشترته له لعلمها بأن فيه ما يهمه.. فشكرها على هذا الإهتمام ووعدها بأن يقرأه.. ومرّ شهران دون أن يقرأه.. ثم تذكره وقام لكي يبحث عنه ولكنه لم يستطع العثور عليه.. إذ نسي نسيانا تاما ذلك الموضوع الذي وضعه فيه.. ومرت ستة شهور ثم مرضت أم الزوج مرضا خطيرا و لم تكن تقطن مع ابنها.. وهنا تركت الزوجة منزلها وذهبت إلى منزل حماتها.. وقامت بتمريضها خير قيام..

وأظهرت عناية فائقة بها.. مما أفعم قلب الزوج بحب زوجته لما تبين فيها من نبل و وفاء.. وفي هذه الأثناء عاد الزوج إلى منزله وإذ به يتقدم من المكتب ويفتح درجا معينا فيجد الكتاب المفقود..! إن الميل إلى نسيان الأشياء التي لا يحبها الإنسان شيء عام وما الإنكارات والتكذيبات التي يصادفها الطبيب أثناء عمله إلا إحدى نتائج هذا الميل.. فمثلا جاءت أم إلى « فرويد » وعرضت عليه ابنها العصبي.. وفي أثناء حديثها ذكرت له أن الولد يتبول تبولا إراديا أثناء الليل .. وأن إخوته وأخواته كانوا مثله أيضا.. ثم مرت عدة أسابيع وحضرت الأم فسألها « فرويد » عن بعض الأشياء ومن بينها مسألة «البول».. وإذ بها تنكر هذه الواقعة بالنسبة للمريض وبالنسبة لإخوته وتعجبت وتساءلت من أين عرفت هذا؟ وهنا ذكرها فرويد بسياق الحديث السابق الذي دار بينهما.. وظهرت بأنها هي التي صرحت بذلك..!

وإن « دارون » يؤيد قول « فرويد » بأن الأشياء المؤلمة تكون أسرع إلى النسيان من غيرها.. فهو يذكر أنه يسير على قانون ذهبي يتلخص في أن يأخذ مذكرة بكل واقعة أو فكرة أو ملاحظة جديدة تُنشر وتكون معارضة نتائجه العامة.. فقد اتضح له من تجاربه أن مثل هذا الواقع والأفكار أكثر فرارا من الذاكرة عن الوقائع والأفكار المحببة إلى الشخص..

وهكذا يأتي « فرويد » بهذه النظرية الجديدة لتفسير النسيان فهو في نظره إنما يرجع إلى اضطراب في الانتباه منشؤه دوافع لا شعورية تعمل على إبعاد الأفكار التي توظف شعورا مؤلما.. فكل عملية عقلية يصحبها قدر معين من الطاقة النفسية.. فإذا زاد هذا القدر إلى حد كبير فإن الشخص يشعر بعدم الارتياح.. ولذلك يوجد ميل دائم إلى تصريف هذه الطاقة حتى يتجنب الألم و يمنع نشوب التوتر النفسي.. فإذا حدث أن حلت عملية عقلية معارضة لمؤثرات أخرى واصطدمت بالنشاط الترابطي المعتاد فإن هذه العملية العقلية تفصل.. وهذا دفاع شبيه باستجابة الهرب لمنبه مؤلم..

إن الميل لنسيان ما هو مكدر وغير سار شيء ضروري ولازم لكل إنسان يعيش على سطح الأرض..

ولكن إذا كان ما ذكر في هذا المقال عن نظريات « فرويد » حول أن الإنسان وخلفياته الشعورية تعمل تلقائيا على طرح ما يؤلمها خارجا.. ورجوعها إلى حالتها الطبيعية مباشرة ومن دون أي جهد ولا إجهاد منها.. فبماذا إذن نفسر السقوط الحر للإنسان في مصيدة الأحزان والفشل والاكتئاب؟.. وبماذا أيضا نفسر إنشاء الكم الهائل للمصححات النفسية التي غرضها الأول والأخير

هو مداعبة الحس الشعوري ونقل النفس من حالة حزن وقلق
وخوف إلى حالة بهجة و انتعاش.. وإلى قفزة حسية تحت ختم
وبصمة و نكهة النسيان..!
وهل لهذا التناقض والتضارب الكبير بين صدق ومصادقية
الخلفيات العلمية.. له أن يعمق حجم المتعة والحاجة فينا للغوص
في أسرار سعادة النسيان..؟

دائرية الذاكرة

شُيدت عليها القصور و القبور.. ورُسمت عليها الأفراح والأحزان
 ومرّ عليها المرح والهزل والسكينة والضجر.. عرفت كل أنواع
 البشر وكل أنواع الكائنات والجماد.. وربما شكلها قد كان سيبدو
 لنا غريبا جدا.. إن أخذت الأرض شكلا آخر غير الدائرة..!
 اليوم يقف الإنسان مكتشفا ذاته.. والحياة تدور به لتضعه في
 نفس نقطة الإحساس بعد جولة طويلة من الأحداث في كل مرة..!
 يتساءل بعدها العاقل عن هذه الحركة الدائرية.. هل هي تحصيل
 حاصل للمسار الدوراني للأرض.. وبالتالي فإننا ندور وفقا لكوكبية
 الكون.. وأن مسارنا من مسارها.. لذلك لا داعي للتواصل مع
 فلسفة الزمان والمكان والتاريخ والموقع لهذا الوضع النسبي لنا..
 لأننا سنبقى مراكز صامدة لتحويلات الحياة فينا.. وسيبقى كل من
 عرفناهم على وجه الأرض يوما.. هم فيها على أبد حياتنا..!
 فحتى الذي قتل الأنفس والنبض.. ثم سافر وظنّ أنه قد رحل
 وترك كل شيء وراءه.. هو في الحقيقة مخطئا تماما.. لأن من كان
 له نصيب من الوجود في هذه الدائرة فلن يخرج منها أبدا.. إلا
 ربما بعد نهاية هذه الحياة..!

وهؤلاء الذين يدعون على أنفسهم مثلاً.. أو على غيرهم بالموت.. ظانين بأن الموت هو مسار صريح للخروج من هذه الدائرة.. هم مخطؤون أيضاً.. لأن تلك الجثث وإن رُمي بها في الأنهار والمحيطات والبحار.. إلا أنها ستبقى مجدداً على هذه الدائرة ولن تخرج منها مهما فعلت..!

ثم مع مرور الوقت اكتشف الإنسان بأن الدائرة هي من أعظميات الكون لأنها أدق شكل تُحفظ فيه مسافات الأحاسيس عندما يوضع القلب مركز كل شعور.. وعندما لا يستطيع أن يجسد الإنسان دوراً غير دور سفاح على الأرض..

إنها إذن الحقيقة المبهمة التساؤلية الأولى التي نخرج بها على الذاكرة.. وهي هل من الممكن أن تنسى الذاكرة أشياء من تفاصيل عاشتها.. وهذه الأشياء والتفاصيل لم تخرج أصلاً من شيء اسمه الأرض.. ومحيط يُحسب بأقطار هذه الدائرة التي نعيش عليها..؟! هنا نرجع لقضية المسافر هرباً من واقع معين.. لنعترف بأن الحقيقة ربما قد تنص على أن هذا الإنسان قد سافر.. وأنه قد لا يرجع ويلتقي مع من سافر وتركهم وهجرهم خصيصاً لعدم رؤيتهم من جديد.. ولكن صاحب هذا التفكير يظل مخطئاً جداً للأسف.. لأن ذلك الموجود في آخر نقطة في الأرض لهو من

السهل عليه جدا بأن يكون في لقاء حصري مع ذلك الشخص الموجود في أول نقطة من الأرض.. ومن دون تنقل ولا قطع أمتار.. ويكون اللقاء حينها أشد عتبا وأكثر قهرا.. وذلك بلقاء حصري في الذاكرة.. يسترجع بها الإنسان كل تفاصيل أحاسيسه السابقة.. ولأن الذاكرة تحفظ المسافات أيضا.. ولا تنسى أبدا أي شخص أو أي شيء.. حتى ولو أصبح يبعدها ملايين المسافات.. بل والعكس أحيانا.. ربما تلك المسافات هي التي تقرب إلى فهم الغموض الذي لم يكن واضحا جدا عندما كانوا بالقرب.. وبالتالي فإن صورهم في الذاكرة ستصبح أكثر وضوحا وأقرب للحقيقة.. وحتى هؤلاء الذين هاجروا وابتعدوا ووطنوا بأنهم قد نسوا.. هم في الحقيقة لم ينسوا شيئا أبدا.. وإنما هم فقط سطروا منهجية جديدة لحياتهم.. منهجية تخلو من أشخاص وأشياء لم تعد الرغبة في استكمال الحياة معهم موجودة.. وفي الحقيقة هؤلاء الأشخاص سيظلوا ملازمين لهم للأبد..

فإن كان الهارب مذنبا في حق الآدمية.. فستظل الحياة بتلميحاتها المستمرة تذكره بذنبه مهما ظن بأنه قد نسي.. أما إن كان ذلك الهارب هو الشخص المعطوب والمجروح.. وقد هرب كذلك لأقصى الحدود لكي ينسى.. فالحقيقة الخفية

كذلك تقول بأن هذا الهارب لن ينسى أبدا بمجرد هروبه.. وذلك لأن العالم الجديد الذي هرب إليه ستبقى غرابته تذكره بسبب هروبه.. ربما رغم حتى جودة العالم الجديد الذي قد يعيشه..! أما وفي حالة الثالثة وإن ظلّ أيضا ذلك الهارب مصرا على اعتناق الشر في نسيانه.. وأنه قتل ودمر وخرب عمدا وانتقاما..

فإنه كذلك لن ينسى رغم اعتقاده بأنه نسي.. وذلك لأن نشوة العقد التي في قلبه ستظل في كل مرة تذكره بسعادته الزائفة التي يظن بأنها هي تلك السعادة الحقيقية..!

وهكذا إذن تظل الحقيقة الأزلية هي أن الإنسان لو استأجر جزيرة اسمها جزيرة النسيان لكي ينسى.. فإنه لن ينسى أبدا ومهما فعل.. لأن هذه الحياة باختصار هي امتداد ليومنا الأول الذي تحددت فيه أصبغة الهوية.. وتحددت فيه أنظمة الكيان وبُثت فيه الروح على وجه هذه الأرض الدائرية.. ووُزعت فيها المناصب على الكائنات الحية.. وأصبح فيها لكل صاحب دور دوره الذي لا يستطيع أن ينساه من منطلق فطرته..

فكما أن الإنسان لا يستطيع أن ينسى بفطرته السوية إذن بأنه إنسان مكلف وليس بحيوان.. فإنه قد لا يستطيع أن ينسى أيضا بأنه قد فقد من أحب كثيرا يوما.. وأنه قد ضيع ما سهر لأجل

تحقيقه أياما.. أو قد فارق من نام في حضن حبههم سنين طويلة..!
وهنا بالضبط يكمن سر جمال الذاكرة الدائرية.. فالسعادة فيها
قد تكمن في جودة الاستمتاع بالتذكر والعيش مع وقائعنا بجرعة
من عدم النسيان..!

فالنسيان النسبي هو في الأصل امتداد لوفائنا وإخلاصنا في
أحاسيسنا وعلاقتنا مع الناس ومع الأشياء.. وعمق أكثر في
محاولة فهم الحياة بسعة رحب وحضن كبير.. يتسع لكل لحظة
عشناها مع العالم وفي العالم.. ثم بلغة امتنان نضرب بها موعدا
مع النسيان.. ولكن بنكهة التذكر..!

ذاكرة الفواصل

هل جربت يوما أن تضيف نفسك إلى عالم الطبيعة.. إلى عالم الجمال وعالم المثل والحب الأفلاطوني.. إلى ذلك العالم الذي تترك فيه عقلك يسبح بعيدا عن كل أحاسيسك..!

.. إننا إن جربنا هذا الدمج وهذه الخلوة ستُصقل أرواحنا.. وتُغسل ذكرياتنا.. وفي ذلك الحين فقط سيُسمح فيه للذاكرة بأن تطفئ الأنوار الكاذبة.. وأن تُسقط رأسها في سكينه الظلام الهادئة وتتركه يسبح في خبايا العلوم وخبايا النظريات.. وتعيد ترتيب حياتها الماضية في ذاكرتها بطريقة أكثر واقعية وأكثر جدية وأكثر صرامة.. حينها وإن تمكنا أن نهرب بأنفسنا إلى ذلك العالم الذي نستحضر فيه فقط تفاصيل الأشياء بدقة.. ونربطها مع كينونة عقلية بحت.. سنكتشف نوعا آخر من الذاكرة.. وهي ذاكرة التفاصيل الجامدة وهي ذاكرة يُخبئ فيها كل شيء فطريا.. لكننا نظل نستعملها في الحياة بطريقة تافهة للأسف..!

إن الذاكرة تتميز بأرقى درجات الوفاء مع الإنسان.. فهي لا تنسى أي شيء مطلقا.. ولكن الإنسان هو من ظلّ وفاءه لنفسه ضعيفا.. فهو لا يكف على أن يتعامل مع ذاكرته بشكل طفولي

ويعيش من أجل اللحظة فقط.. ولكن السعادة.. وربما كل السعادة تكمن في أسرار الذاكرة ونشوة الاستمتاع بخباياها..! ربما تلك الفواصل التي نضعها في ذاكرتنا هي السبب في كل ثغرة في أرواحنا ونفسياتنا.. وسبب كل فجوة في حياتنا.. فأجمل أسرار حياة الإنسان هو الغوص في التنسيق بين وظائفه الحسية ووظائفه العقلية.. ليلعب هنا الإنسان دور الكينونة الواعية التي تستمتع حتى بتفاصيل الموت المترقب.. ولا تخاف من ألم ذكرياتها.. لأنها تعاملت معها على أنها واقع.. ورأت أنها إن أصرت على وضع الفواصل المخيفة أحيانا والمملة أحيانا أخرى بين كل لحظة ولحظة تعيشها فإنها ستموت على رغبة وشهوة في معرفة حقيقة الحياة..!

إنها الفواصل التي ألغت المصداقية وحرمت الإنسان من التعمق في ذاته.. فنجد ذلك الزوج المسافر تاركا زوجته في بلد آخر.. ثم لا يحتمل بُعد المسافات.. فيلجأ إلى خيانة زوجته مع حبيبة أخرى عابرة.. يوهمها بالحب والزواج.. منتهجا طريقة الكذب والنفاق.. وقد يخبرها بأنه قد أحبها جدا.. وأنه غير متزوج.. أو أنه سيأخذها زوجة ثانية.. ثم بمجرد عودته إلى بلده وزوجته ودياره.. ينسى مباشرة قصة الحب التي عاشها معها..

ويرجع من جديد لكي يمثل الحب على زوجته ويبرز لها قوة وفائه وصبره في بلد الغربة.. متناسيا كل الذي عاشه مع غيرها..! وتظل تلك الحبيبة المنسية معلقة بالأمال.. ثم تضطر بعدها إلى البحث عن استراتيجيات للنسيان.. لترمم بها عطب جروحها بعد أن كانت ضحية الذاكرة المؤقتة بنكهة السلب.. لأشخاص يتمتعون بضعف ذاكرة المشاعر والوجدان والمروءة والأحاسيس.. فذاكرة أصحاب هذا النوع لحظية.. وإنارتهم للحياة ضئيلة تنزل بزوال تيار مصلحة الشهوة.. والحياة عندهم أجزاء.. كل جزء يمثل مراوغة نسيان من دون إدراك لذلك النسيان..! وهكذا تمضي بهم الحياة وهم يعيشون بذاكرة مؤقتة.. كل لحظة مع شخص.. وكل شخص بإستراتيجية جديدة.. وهذا النوع من الأشخاص نجدهم يفتقدون إلى حلقة هامة في حياتهم وهي حلقة « الحب » إن جبهم هو المصلحة.. ولا يتعاملون أبدا مع الحب على أنه المصادقية في هذه الحياة بحد ذاتها.. فعندما يكون الإنسان مستعدا لخسارة صديقه الذي أمضى معه عقود من الزمن بعد خصام صغير.. ولا يقوم بأي شيء من أجل إنقاذ صداقتهما بحجة الكبرياء.. فذلك لأنه لم يدرك أبدا جمال وفاء الحب والتعلق بتفاصيله..!

وعندما يقع الطلاق لأمر تافهة.. ويترك الزوج عائلته في التشتت و الضياع.. دون أن يسأل عن وضعيتهم وأحوالهم.. فذلك لأن هذا الشخص أيضا لا يعرف أبدا قيمة الاستمرارية في الحب.. وإنما فضل بأن يعيش بذاكرة الفواصل.. ذاكرة لا تعرف الامتداد.. فيذهب ويؤسس بيت جديد وعلاقات جديدة.. ليعيشها بنفس استراتيجيته القديمة.. والنتيجة الملاحظة فيه.. هو أنه قد لا يتأذى كثيرا بين كل نتيجة خسارة وخسارة!!

وهذه هي الميزة الأولى لذاكرة الفواصل.. ذاكرة مبرمجة تغيب فيها ميزة ترابط الحياة وتناسقها.. فأصحابها يعيشون بهمجية وأنانية المشاعر.. وأحاسيسهم غير مرتبة.. والمهم عندهم هي اللحظة التي سينسونها هي و أصحابها كذلك بعد حين..!

إن الأجدر بأحاسيسنا هو أن نعيشها بعفوية لا باحترافية.. وميزات السعادة تكمن في تلك البراءة.. وربما الحال سيكون أجمل إن ابتعدت بنا الذاكرة عن النسيان.. وجعلتنا نتعامل مع المواقف والأحداث باحترافية هذه المرة في النسيان..!

إن امتداد الآلام فينا بنكهة الاستمتاع شيء رائع.. والأجمل هو أن نمارس الحب مع هذه الآلام ومع كل الأشياء والأشخاص بجودة عالية.. فلا بأس أن نحب شيء مادي ونبقى له أوفياء بحبنا

له طيلة حياتنا.. كأن نحفظ بدفتر ذكريات أصدقاء المدرسة.. ونخبأهم في مكان سري.. ونذهب للاستمتاع بخلوة الذكريات مع هذا الدفتر كل فترة وأخرى.. وهكذا تبقى ميزة الحب والوفاء متواصلة في قلوبنا.. حتى إذا التقينا بأصحاب الذكرى احتويناهم بنفس سعادة الحب الأولى... وربما أكثر لأن مشاعر الشوق قد تزيدها بهجة في تلك اللحظات..!

لتبقى بذلك هذه الذاكرة نسيية المعالم.. فهي ذاكرة أنانية جدا في حق غيرنا.. وبالرغم من أنها ذاكرة تسمح لصاحبها بتجنب الكثير من الآلام بجميع أنواعها.. بل والأجمل ما فيها أيضا أنها تعتبر ذاكرة تجاوزية لكثير من أخطاء الغير في حقها.. إلا أن صاحبها لا يمكن له أن يستشعر أبدا لذة تلك الأحاسيس التي تعيش بذاكرة اللحظة الأولى من عمق المشاعر.. فيغيب عندها صدق الإحساس وصدق الشعور وصدق اللحظة وصدق الحياة وصدق كل شيء.. ويهيم صاحبها في أرجاء الدنيا كي يرضي شهوته فقط..!

الاكتئاب

كانت فتاة هاوية وموهوبة تعيش في قرية طقوسها صغيرة.. تزوجت وعمرها ثمانية عشر سنة في جو أسري سعيد تحقق فيه رضا الوالدين وإكمال نصف الدين.. وساد أمن وبساطة ورقة الأيام في حياة هذه البنت الباكستانية الأصل.. وبعد مرور سنتين من زواجها شاء الله أن يحدث في ذلك الاستقرار اهتزازة.. وفي تلك الوضعية انقلاب.. وفي سكون حالها صدى مدويا يهز أرجاء القلب.. وفي حياة تلك البنت منعطفًا كبيرًا يأخذها إلى واد غير واديهها..

... ففي أحد الأيام وبينما كانت مع زوجها في نزهة أسرية في السيارة.. فجأة أصابهم خطر الموت وانقلبت بهم السيارة في حادث مرور جد خطير.. وفي الوقت الذي تمكن فيه زوجها من إنقاذ نفسه بأعجوبة.. أصيبت هي بكثير جدا من الإصابات في الكتف والزند والفخذ.. لكن الإصابة الأعمق التي غيرت حياتها بالكامل هي إصابة عمودها الفقري وتضرر الحبل الشوكي عندما قام الناس المارة بمحاولة إنقاذها وسحبها من السيارة.. كانت فترة الشهران والنصف التي قضتها هذه البنت في المستشفى

.. وكانت تصفها بالفترة التي لا تحتمل.. ففي أحد الأيام قدم لها أحد الأطباء وقال لها: لقد سمعت بأنك كنت تريدين أن تصبحي فنانة ولكن لدي أخبار غير سارة.. إنك لا تستطيعين الرسم من هنا فصاعدا.. وفي اليوم التالي أتى لها الطبيب أيضا وقال: إصابة عمودك الفقري خطيرة جدا.. لن تستطيعي المشي مجددا.. وفي اليوم الذي يليه أتى لها الطبيب وقال لها: بسبب إصابة عمودك الفقري والضرر في ظهرك فإنك لن تستطعي الإنجاب.. تدمرت نفسيتها في ذلك اليوم نهائيا.. وأصبحت تشك في وجودها كإنسانة.. لأنه حقا من الصعب تحمل كل هذا دفعة واحدة.. والذي ساعدها على الوقوف و بداية لمّ شملها.. هو أنه في أحد تلك الأيام الصعبة أرادت أن تهرب بنسيانها إلى شيء لازالت تحس بأنه جميل فيها.. فقالت لإخوتها: أعلم بأن لدي يد مشوهة.. لكني قد تعبت من رؤية هذه الملابس والجدران البيضاء.. أحضروا لي بعض الألوان أريد أن أرسم!..

.. رسمتها الأولى كانت على فراش موتها.. كان ذلك علاجا رائعا لها.. وبدون أن تتكلم استطاعت أن ترسم بكل إحساس.. واستطاعت بطريقة غير مباشرة مشاركة قصتها..

كانت تقول بأن الناس قد اعتادوا على القدوم.. ويقولوا رسم

رائع مليء بالألوان.. ولكنه في الحقيقة لم يستطع أن يفهم أي أحد ذلك الحزن الذي كان داخل الرسم سواها.. وفي ذلك اليوم قررت هذه البنت أن تعيش مجددا.. أن تكون تلك الفتاة المثالية أمام نفسها أولا.. ومن أجل أن تحارب كل مخاوفها كتبت تلك المخاوف في ورقة.. وقررت التغلب عليها.. وكان أكبر مخاوفها في ذلك الحين هو الطلاق وأن يتخلى عنها زوجها.. وفي اليوم الذي حررت نفسها من هذه المخاوف وقويت نفسها عاطفيا حدث الطلاق فعلا.. وحقا طلقها زوجها.. وعن طريق طاقة خفية قررت هذه البنت مجددا بالاستعانة بدواء النسيان.. وبعواطف صارخة عازمت على أن تعالج عواطفها وأحاسيسها بنسيان أبدي لجميع تلك الآلام التي ألمت بها..

بل ونسيان أيضا جميع ذكرياتها السعيدة التي عاشتها مع زوجها لَمَا كانت بصحة جيدة.. لأن حتى الذكريات السعيدة بإمكانها كذلك أن تساهم في وخز المعنويات عندما تتذكر كيف كانت قبل سنتين ثم ما أصبحت عليه بعد ذلك الحادث.. واستجمعت قواها إلى درجة أنها قامت بإرسال رسالة لزوجها كتبت له فيها أنا سعيدة لأجلك وأتمنى لك كل خير..

أمرا آخر كان يدمرها.. وهو أنها لا تستطيع أن تصبح أما..

فقامت بتبني نسيانا آخر لهذا الجرح واستطاعت أن تدرك بنزع الشوائب من ذهنها بأنه هناك ملايين في هذا العالم جُل ما يتمنوه هو التقبل.. فوضعت اسمها في أكثر من منظمة وأكثر من ميثم.. وحقا تمكنت من الفوز بطفل لتحظى برعايته والتكفل بعيشه وأصبحت أما له.. و تمكنت من ممارسة مشاعر الأمومة معه والتي ظنت في يوم من الأيام بأنها لن تشعر بها مجددا.. وكانت تقول: عندما ينتهي بكم المطاف في كرسي متحرك.. هل تعلمون أكثر ما يؤلم في اعتقاد الناس؟

أنه لن يتم تقبلهم .. أننا نعتبر في عالم الناس المثاليين غير مثاليين!! وقررت الظهور أكثر أمام الناس حيث بدأت بالرسم وقامت بالعديد من حملات عرض الأزياء.. وقررت أن تنظم للتلفزيون الوطني في باكستان كمقدمة برامج.. وأصبحت سفيرة النوايا الحسنة في بلدها وناطقة بحقوق النساء والأطفال.. وتم اختيارها من أبرز ثلاثين امرأة تحت الثلاثين في إحصائيات فوربس وكانت تردد: عندما تتقبل نفسك كما أنت يراك العالم.. كل هذا يكمن في داخلنا.. نحن نملك هذا الخيال الرائع حول الحياة.. لم أرد يوما ولم أفكر يوما بأن أكون على كرسي متحرك.. إنّ هذه الحياة اختبارات ومحن.. والاختبارات ليس من المفروض أن تكون سهلة.. لذا عندما تتوقع أن تكون حياتك سهلة وترميك الحياة

بالحجارة فاصنع بيتا ولا تلم الحياة على ذلك.. لا عيب في أن تكون خائفا.. لا عيب في البكاء.. إن الاستسلام ليس خيارا.. يقولون دوما إن الفشل ليس خيارا.. الفشل يجب عليه أن يكون خيارا.. لأنه عندما تفشل تحاول من جديد.. ثم تفشل.. ثم تحاول من جديد..

قدر كل نفس تنفسه.. احتفل بحياتك.. عشها.. لا تمت قبل أوانك السعادة الحقيقية تكمن في امتنانك واقرارك بالمعروف.. كن ممتنا.. كن على قيد كل لحظة..

واعلم جيدا بأن الضربة التي لا تقتلك ستقويك.. وأن تعاطي التجاهل ونسيان جميع آلامنا حتى ونحن على قيد التذكر هو أنسب دواء لداء العواطف والمشاعر والانكسارات ونهضت لهم من عمق السقوط.. بإذن الله..

تقول الأسطورة « إذا لم نكن ننسى الألم.. لما أنجبت النساء مرتين مطلقا »

لكن في الحقيقة الذكريات المؤلمة لا تتلاشى دوما..!

فعند زيارة احدى السيدات التي استقبلت مولودا جديدا غالبا ما يتضمن وصفها لآلام الولادة عبارة مثل « لن أكرر ذلك أبدا» لكن رغم ذلك تراها بعد بضعة سنين لاحقة وقد أصبحت في وقت المخاض لإنجاب طفل جديد..!

عادة ما يكون التفسير المقدم هو أن النساء ببساطة ينسون تماما كيف كان يبدو الشعور بالألم.. لأن الدماغ يتخلص من تلك الذكرى.. ومن منظور التطور البشري قد يكون من المنطقي للنسيان نسيان آلام الولادة إذا كان ذلك يثبهن عن التكاثر.. إلا أن الأمر لسوء الحظ لا يبدو بهذه البساطة..

هناك مقاييس تتيح للناس تقييم الألم الذي عانوا منه.. فلأن عملية الولادة تستغرق عدة ساعات.. فليس معلوما أي جزء من فترة المخاض أو الولادة تركز عليه..!

لذلك تظل لهفة الوصف لذلك الألم متنوعة عندما نسأل عن شدة ذلك الألم بعد فترة زمنية معينة.. وهو ما نفسر به بأن زاوية التذكر والنسيان شيء خاص.. فربما بعض من النساء حبهن الفياض لمولودهن الجديد قد كان كفيلا بنسيانهن النسبي لألم الولادة.. في حين أن بعض النساء الأخريات لم يسمح لهن حبهن الشديد لأنفسهن بنسيان ألم الولادة..!

إن آلام الولادة هي آلام هادفة.. فإنه إذن لهذه الذكرى الإيجابية نظريا أن تخفف من ذكرى الألم.. لكن يبدو جليا بأنه بالنسبة لبعض الأمهات حتى الحدث السعيد بطفل جديد لن يستطيع التخفيف من الذكرى المؤلمة للمخاض.. وبالتالي إذا لم يكن بالضرورة نسيان هذا النوع من الألم الإيجابي.. فماذا عن المرور بتجربة سلبية إذن؟!

وهكذا يظل الاكتشاف بداهة.. فذاكرتنا ليست مثل معلومات قرص مدمج حيث يمكننا مشاهدة أي حدث من الماضي تماما كما حدث.. وعوضا عن ذلك فإن محتوى الذكرى الأصلية وطريقة سردنا للحدث تختلف في كل مرة نستذكرها..! والنسيان قصة شائكة ومفاهيمه متعددة وغير قاصرة.. فنحن لا نستطيع أن نجبر طفلا صغيرا على تذكر جميع ما قامت المعلمة بشرحه أثناء الدرس.. وستكون الأم مجبرة على تصديق ابنها عندما يقول لها.. يا أمي لقد نسيت ما درسته اليوم في المدرسة وسيكون الباحث عن مفاتيح السيارة أيضا مجبرا على تصديق نفسه عندما يبحث طويلا عن مفاتيح السيارة وينسى أين وضعهم..! لكننا لا نستطيع أبدا تصديق إنسانا يقول لنا بأنه قد نسي نوع إحساسه عند فقدانه لأغلى شخص في حياته..!

ولن نصدق كذلك نفس الطفل الذي نسي درسه سابقا.. بأنه قد نسي هذه المرة نوع البدلة الرياضية أو تاريخ موعد المباراة أخبرهم مدربهم الالتزام به مع ناديه الهاوي مثلا..

لذلك ما نستطيع أن نكتشفه ببساطة هنا.. هو أن الإنسان تظل قدرته المعرفية أصغر بكثير من أن يحكم على الذاكرة من أنها تنسى مع مرور الوقت أم لا تنسى.. وإنما الحكاية تبقى ذاتية ويبقى كل إنسان مسؤول عن قراره في النسيان..

وطالما أنه من ضمنيات الاكتشاف الذي نستطيع أن نستنتجها من طقوس الإنسان في النسيان.. والمتمثلة في أن الإنسان لا ينسى أبدا الأشياء التي له فيها شغف الشعور.. فالأشياء العادية التي لا يجد نشوة في تذكرها.. فإنها قد تُنسى بسهولة.. بينما تظل أشياء الرغبة الهمجية في سعادة الإحساس ولحظات فقدانها ملازمة لذاكرة الإنسان.. ومتى ما أراد.. استحضرها على شكل ذكريات.. لذلك ما نستطيع أن نستنتجه.. هو أنه لا سبيل أبدا للنسيان المطلق في حياة الإنسان.. لأنه قد يكون لا وجود له.. وإنما فقط توجد سيكولوجية للنسيان قد نحصل بها على سعادة من نوع آخر.. ويبقى في ذلك الإنسان هو وحده المسؤول عن فشل أو نجاح تلك السيكولوجية للنسيان!..

الواقع

كمثل الذي أتعبه العسير وسط غبار
كثيف في صحراء قاحلة بحثاً عن الماء
.. و عندما وجده .. اختفى الكأس .. لأنه
قد كان وهماً..!

أصل الوهم بدأ من منطلق الحقيقة.. عندما ظن السجين بأنه قد استعاد حريته بمجرد خروجه من السجن.. وعندما تهيأ للأمير بأنه قد امتلك السعادة المطلقة بمجرد زواجه من أجمل فتاة في العشيرة.. وعندما حصرت الأميرة كل السعادة في أميرها.. وعندما اعتقل الجميع في شبكة أحلام اليقظة التي توهم الكل بأن السعادة تكمن في الفراش والبيوت والملابس والمأكولات والمناصب والسيارات الفاخرة.. والأموال الطائلة.. والبنيان العالية.. وغيرها من سعادة تزول بزوال هذه الأشياء..

هنا يبدأ الوهم.. عندما تنصهر لذّة الأشياء في مفهوم قاصر وأناي.. وتعم الفوضى والمعارك والحروب من أجل إرضاء أنانية تلك الذات..

وهنا تضيع مفاهيم الأشياء وتأخذ مجرى الأحلام في هياتها.. ليصبح ليس هناك فرق شاسع بين الأحلام والواقع.. فكلها عبارة عن سلسلة أحداث وشريط متواصل من الإنجازات والمكبوتات الفكرية والنفسية.. تصب في فوضى مشاعرنا.. وتنسج لنا عالم افتراضي.. نظنه حقيقة من شدة احتوائه لجميع مشاعرنا.. التي نظل نتعايش معها بأقصى درجات أحاسيسنا..

وحيث الواقع والحلم سنقف عند كل أنواع الحروب الباردة

بهدف من كل إنسان في احتلال أكبر مساحات السعادة.. ولو كان الأمر بيده لما ترك بقلة إيثاره شبرا واحدا لغيره من الأرض.. واحتلها كلها.. وفي تلك الساحة الفدائية سيحدث الامتزاج بين الحلم والواقع.. وأحيانا إلى درجة الالتحام.. والذي سيصبح في ذلك المزج كل شيء مباح برخص ذاتية.. فسلوكيات القتل والسرقة والكذب والزنا لم تعد موجودة فقط على أرض الأحلام التي نراها ليلا عند نومنا ونحن في فراش ناعم.. لنستفيق من هكذا أحلام في غصة قلب كبيرة.. ثم نتعوذ من تلك الكوابيس وندخل في رجفة داخلية عن سبب زيارة هذه الكوابيس لنا..! ومن أجل شعور زائل كذلك.. قد يشاع الكره والحقد والحسد والغيبة والنميمة والسحر والشعوذة والتخاصم وقطع الرحم.. ومن أجل رغبة هائلة أيضا قد يصغر فكر العقول.. إلى درجة أننا قد نجد طبيبا أو أستاذا يتجه إلى مشعوذ أو منجم ليطلب منه رؤية الكف أو قراءة الفنجان من أجل التنبؤ بما سيحدث له في المستقبل..!

والغريب في الأمر أن هذا المستقبل قد لا نكون فيه أصلا.. وقد نتقل في لحظة إلى عالم آخر غير العالم الذي نعيشه.. عالم لا ندرك أبدا كنية تفاصيله كيف ستكون.. عالم تفصلنا عنه لحظة موت..!

إنها المسألة التي تسبب الأرق الدائم للإنسان العاقل.. وتجعله يحتجز نفسه في غرفة التفكير المبني على الوسوس والمخاوف بمجرد تفكيره في ذلك السؤال الذي يخطر على باله كل فترة وفترة.. وهو « ترى ماذا بعد هذه الحياة »؟

وهناك أيضا يتحدد لنا مفهوم الفلسفة الهندوسية التي رأت بأن الوهم شيء غير واقعي وغير زائف في نفس الوقت.. إلا أن الوهم لم يُعتبر عكس الحقيقة أو الواقع.. ووفقا لهذا ذكر فيداس أن العالم كما يراه البشر هو عبارة عن وهم.. وهذا لا يعني أن العالم ليس حقيقيا.. فالعالم يعتبر صورة حقيقية لشخص في المرآة.. العالم غير حقيقي بالمقارنة مع الواقع.. ولكنه زيف.. وذلك لأن الناس يميلون إلى اعتبار أن الوهم باطلا..

لكن الغريب في الأمر هو أن الإنسان في النهاية هو امتداد لهذا العالم..

لذلك بقي السؤال الأعظم هنا.. وهو : هل للإنسان لذة من هذا الوهم الواقعي أم أن الإنسان سيبقى مصرا على أن يعيش في زنانة التفكير المحدود الذي ينتجه ثم يخاف من ثبوته عندما ينوي استكماله..

فالإنسان هو الذي فكر وأنتج واكتشف بأنه يوجد مرض اسمه « مرض الوهم » وهو مرض روحاني يصيب الإنسان..

ويمكن تعريفه على أنه ما يقع في الذهن من الخاطر.. بحيث يعمل الإنسان المصاب به على تضخيم الواقع إلى عدّة أضعاف غير حقيقية..

والغريب في الأمر بأن الإنسان قد أنتج وفكر واكتشف.. ولكنه نسي أن يطابق تلك النتائج على حياته.. فإن دققنا جيدا لوجدنا بأننا كلنا مصابون ب «مرض الوهم» لأننا جميعا يملكنا ويسيطر علينا وهم الحياة..!

فالإنسان بطبيعته يميل إلى تضخيم جميع أمور حياته.. إلى تلك الدرجة التي يتوه فيها من عتمة الأحزان والمشاكل وهمجية البحث عن أصناف السعادة من دون أي قناعة أو تهذيب.. ومن دون أن يترك لنفسه تلك الهدنة التي يبحث فيها بعقله عن مصيره بعد نهاية هذا الوهم..!

اللحظة

ديانا غريبة .. ولحظتنا مصنوعة من الوهم .. فمعظم الأشياء التي من حولنا أشياء جامدة .. لا يمكن لها أبدا أن تصنع لنا لحظة جميلة نوثق فيها بصماتنا في الحياة إن لم نقم نحن ببرمجتها والتدخل في تنشيطها وتفعيل حركتها .. فالقلم والكراس والبيت والسيارة والثياب والمال وحتى الأولاد والزوج والزوجة .. كلهم أبطال لحظة نرسم بهم مشهدا معينا لتوقيت معين .. ثم ترحل اللحظة إلى مكان لن نراها فيه مجددا .. ونذهب نحن لنبحث عن أبطال جدد لتمثل بهم مشهدا جديدا من حياتنا .. قد يشارك فيه نفس الأبطال في لحظة أخرى وقد لا يشارك .. ومهما كان نوع اللحظة الجديدة ودرجة جودتها .. فإننا لن نقابلها أبدا بنفس الأحاسيس التي قابلنا بها لحظتنا السابقة .. فتلك ربما قد كانت مشتعلة وهذه منطفئة .. والأخرى باردة وهذه حارة .. وما بينهما امتزجت بألوان اللحظات ..

وهكذا تستمر وتتواصل اللحظات في درب من الأحاسيس يتعذر علينا معرفة طبيعتها .. لنحس أنفسنا بأننا في ثورة لحظات متتالية .. ونحن في أحشائها نلهث ونحاول أن نصنع منها تلك

اللحظات التي تلتهب فيها مشاعرنا سعادة... ولكن المشكل أنه في نفس ذلك الوقت قد تموت لحظات أخرى كثيرة.. قد كان يمكن لها أن تكون سعيدة هي أيضا لولا قلة الانتباه لها.. ولولا نقص الوعي في مفهوم لحظة السعادة...!

وهكذا تمضي بنا وتيرة الحياة.. لحظات متتابعة ومتسارعة ومن دون أي فواصل.. وربما تلك الفواصل المنعدمة هي السبب الرئيسي في سقوطنا في فخ اللحظات.. فالعيش وسط اللحظات قد لا يؤدي بنا إلا للسقوط في كمينها.. فتتنوع بنا أنواع السقوط.. فهناك سقوط مرتفع الخسائر وهناك سقوط منخفض أو منعدم الخسائر.. وكلها تتحدد حسب وضعية الانطلاق.. وحسب طريقة الجري للوصول.. ونية تلك الممارسة التي جعلتنا نسقط في أحضان اللحظة.. وحينها فقط سنوثق لحظات جديدة.. ربما ستكون هي ذلك الفاصل الذي كنا نبحث عنه.. والمتمثل في لحظات استكشاف ولحظات تجديد وتغيير لنفسياتنا وحياتنا.. ! .. ثم إن للحظات نضوج فكري ونفسي.. لأن بعد ذلك السقوط فإن تلك اللحظات التي عشناها ونحن نرمم آثار السقوط.. جعلتنا نكبر من دون أن نشعر.. نكبر في حجم اللحظات المضافة إلى رصيد أعمارنا.. وفي حجم اتزاننا ونضجنا.. وفي منهجية تعاملنا مع تلك اللحظات.. سواء كانت السعيدة أو التعيسة.. ونكبر

في كل شيء!

فاللحظة إذن هي الماضي.. لأن حتى الحاضر فيها سيصبح
ماضي بعد قليل.. وأن كل لحظة ستصبح أرشيف بالي في الذاكرة
نستحضرها أحيانا في مخيلتنا بصور تغيب فيها الملامح الحقيقية
للأشياء والأشخاص والأحاسيس.. ثم نبقى على هذه الوتيرة إلى
أن يجمع كل واحد فينا المقدار المعين من اللحظات المقدره
والمكتوبة لنا منذ الأزل.. لترمى هذه اللحظات في ميزان العمر
ونعيش اللحظة الأخيرة ونحن مدركين لأعمارنا ولحصيلة اللحظات
التي جمعناها.. ولكن الأعمق هو أننا حينها سنكون ناسين تماما
وغير مدركين لكمية اللحظات السعيدة أو التعيسة التي عشناها
في حياتنا... لأنه باختصار لا يوجد ميزان دنيوي لذلك...!!

الباب المغلق

بالضبط مثل رنات الهاتف والشباب المتنوعة وأنواع العطور وصور البروفایل التي يغيرها الإنسان من فترة لأخرى.. كُمل على حسب ذوقه وشخصيته.. هو مزاج الحياة ونفسية الإنسان الآخر.. خليط غير متجانس من الأحداث المتتالية والمتابعة.. والتي تقريبا لا يمكن أبدا التنبؤ بطقوس تغيراتها.. فهي ذات إدارة قوية تتدخل فيها فطرة الشهوات وميولاتها.. لذلك بقيت تلك السعادة التي رهنها أصحابها على أشياء معينة.. سجينة الأيام والشهور والسنين.. على أشياء ربما ليست موجودة أصلا في منظومة محيط ذلك الإنسان المقصود.. وربما هي موجودة لكنها بعيدة جدا عنا.. إلى درجة أننا نقف نتفرج عليها من بعيد.. ولا نستطيع أن نفعل أي شيء أبدا لنشير انتباهها ونجعلها تقترب منا أو حتى أن نفعل نحن شيئا يجعلنا تقترب إليها.. فقط نكتفي بمشاهدتها من بعيد جدا واللعب يسيل عليها شهوة.. في ذلك المقابل الذي لا يكثرث فيه ذلك الشيء البعيد بنا نهائيا.. وربما في أحيان أخرى يكون ذلك المبتغى قريب منا إلى أقصى درجة ونراه في صحونا ومنامنا.. صباحا ومساء.. وتعلو الآمال

في نسبة الوصول إليه.. ثم بعدها تتعب النفس فجأة ويصبح في نظرها المستحيل أهون من تحقق ذلك الشيء... من كثرة إرهاقها من الانتظار والمحاولة من دون أي جدوى..!!

كان هذا حصاد الفطرة.. وربما لا علاقة للإنسان في بداية حبه في كمية الهرمونات المفترزة داخله اتجاه شيء نبض له قلبه منذ البداية.. وأحب بشدة أن يكون من نصيبه...!

ولكن الحكاية التي سُردت الآن على طرب الأنس قد تُرفع يوما إلى محاكم الإجرام النفسي الذاتي.. عندما نظل واقفين عند ذلك الباب المغلق والذي لا يريد أبدا أن يُفتح لنا بأي طريقة كانت وأي وسيلة انتهجناها أدت بنا ككل مرة إلى طريق مسدود..! ثم نرى في بعض الأحيان صنف معين من البشر لا يقفون طويلا عند نفس الباب.. ولا يهتمهم أبدا إن فتح لهم ذلك الباب أم لا لأن مسائلهم وحكايتهم لحظية..

ليظلوا على تلك الحالة ينظون من باب إلى باب يطرقونه ثم يختفون وكأنهم يلعبون لعبة الأطفال الصغار عندما يطرقون على أبواب المنازل لكي يضحكوا على أصحابها عند فتحهم الباب.. وربما هذا الصنف هو ذلك الصنف الذي شوه مصداقية المشاعر إلى درجة معينة.. تلك المصداقية التي نجدها في

الصف الثاني من الناس.. وهو الصف الذي لم يستطع الرحيل أبدا من أمام ذلك الباب المغلق.. وعندما يضطر للرحيل يرحل.. ولكن عينه لا تستطيع أبدا أن تكف عن النظر فيه.. فلعله يُفتح و يتحقق الحلم أخيرا..

وهذا النوع من الناس هم في الغالب أصحاب الوفاء لمبتغاهم.. هم الذين وجدوا بعد وقت كبير وانتظار طويل أذواقهم في الوجود لذلك تجدهم يخافون ويتألمون لضياح تلك الفرصة.. لأنهم يخافون من لوعة البحث الجديدة عن ذلك الحلم الصعب..! ثم ينظرون إلى ساعة السنين التي رحلت.. فيجدون بأن الوقت قد مرّ بسرعة.. وأن الطاقة لم تعد كافية أبدا لبناء حلم جديد وخوض رحلات بحث جديدة.. قد يكون آخر ما نصل إليه فيها هو إلى ذلك الباب المغلق مرة أخرى..!!

حينها وبعد إرهاق شديد قد تُدرك النفس بأن هدفها الذي نال من جميع طاقتها.. هو حقا لم يُخلق لها أبدا..! وفي النهاية.. سيتربع كل واحد على عرش ذكرياته.. متذكرا تلك الأفلام السينمائية التي قام بها لتحقيق رغبته.. ليجد نفسه يعرض على أصابعه ندما.. على كثير من المواقف التي اتخذ فيها الأسباب بطريقة خاطئة.. إلى درجة أنه قد أهان بها كرامته..

وضيع بها مكانته.. ونسى بأنه من المستحيل أن تكون الأشخاص
والمواقف والحياة كما نريد دائما.. لتنتهي الحكاية بتعب وإرهاق
شديد... وكل ذلك كان عند أبواب لم تُخلق لتُفتح لنا أصلا...
وكان هذا في الوقت الذي كان للحكاية أن تنتهي فيه بطريقة
أكثر سعادة.. حتى لو كانت النتيجة واحدة وذلك الباب ظل
مغلقا... وهي أن نتخذ الأسباب المشروعة لنا.. ثم نمضي بنزاهة
الوفاء لحياتنا دون خسارة بعض من أجزاء قلوبنا.. مدركين جيدا
بأننا قد تعبنا من أجل الوصول عندما أُتيحت لنا الفرصة لذلك..
فلا داعي لتحميل أنفسنا فوق طاقتها إذن..!

إننا في الواقع نحن هم من يصنع للأشياء قيمة فوق قيمتها
فالحب الأفلاطوني هو في الحقيقة شيء في قمة الروعة.. لكن
شريطة هذا الحب تبقى دائما بإزدواجية الرد والعطاء في حالات
خاصة كثيرا..

إنه من الجميل جدا أن نحلم في هذه الحياة.. ونرسم مخططات
لمستقبلنا.. ونأمل فيها أن تتحقق بإذن خالق هذه المشيئة.. ثم
نسعى لها كل السعي.. والأجمل من هذا هو أن نصنع أحلاما
موازية لهذه الأحلام أيضا.. فإن حدث ولم تتحقق الأولى فإنه
على الأقل نكون قد وضعنا نفسياتنا في وضعية جديدة

غير وضعية الفراغ والشغور وتكون في وضعية مهياة تسمح لبداية جديدة..

إن قوة الإنسان القاصرة التي يضعفها ألم ضرر.. ويضعفها في الفراش صداع رأس أو حمى جسد.. لا توحى أبدا بأن بإمكان هذه القوة مضاهاة قوة العالم من ضغط وإرهاق وعمل وتعب من الإخفاق والنجاح.. ومن ألم لفقدان الأحياء والأموات.. ومن كل شيء.. دون دعم رحمة روحانية خفية..!

ثم مع الإدراك جيدا بأن من فتح منافذ الخفاء بالرحمة.. هو فقط لأنه هو وحده الذي يعلم حجم ألم تلك المشيئة على قلب الإنسان.. فإن الإنسان في هذه الحالة بإمكانه أن يرتقي إلى لذة أعظم في النسيان.. فاللييب والمحظوظ والسعيد الحق هو من يستطيع أن يقفز من متاهة العلاقات الضيقة مع الأشياء الدنيوية الصغيرة.. إلى علاقة أشد غموضا وراحة.. علاقة تسافر بالروح إلى أعماق الأحاسيس الصافية.. المبنية على الثقة التامة بأن السعادة لا يمكن لها أبد أن تتوقف على وهم بإمكانه أن يزول بزوال الحياة مباشرة..!

وأن السعادة الحقيقية تكمن في الرضى بتلك المشيئة مهما كان نوعها.. خاصة عندما يحس الإنسان بأنه قد فعل كل ما في

وسعه للوصول إلى شيء حال كل شيء إلى الوصول إليه.. دون أن يُعرض نفسه لجرم التكاسل المستمر وعدم الأخذ بالأسباب بحجة أن هذه المشيئة هي الفيصل في كل نتيجة.. لأن ذلك حقا سيحول بينها وبين كل سعادة..

وأن قوة التعلق التي تثبت حركتنا.. هو في الحقيقة فجوة كبيرة صنعناها في قلوبنا.. بسبب تخدير عقولنا بقلّة التفكير الفعال في ماهية قيم الأشياء.. بما فيها نحن.. وهو بالضبط ما بإمكانه أن يحرمننا من خوض مغامرة فن سعادة النسيان!..

التنشوة

ولنا في الحيوانات مثالا رائعا حول مفهوم الشهوة الراقية
الحيوانات التي تميزت في طريقة تلبية احتياجاتها العاطفية
وتنسيقها بين غايتها من هذه العاطفة.. والمتمثلة في التكاثر
وإعمار الأرض.. وبين حاجاتها الشعورية المودوعة فيها من باب
الفطرة والغريزة.. إلى تلك الدرجة التي ظل فيها التزاوج الموسمي
عند كثير من الحيوانات.. رغم تجردهم نهائيا من الملابس..!
فالسعادة في مفهوم البعض اليوم قد تحولت إلى هوس تلبية
الرغبة.. إلى درجة أنه أصبح بمفهوم صاحب هذا النوع.. أنه لا
بأس أن يتحول فيها إلى قاتل أو سارق أو مغتصب أو زاني من
أجل تلبية تلك الشهوة.. وكأن شهوته قد أصبحت الأمر والنهي
عن فعل الأشياء.. فإذا اشتعلت الرغبة أصبحت كل التصرفات
مباحة جاهزة للتنفيذ.. وإذا انطفأت فإنه مزال متسع من الوقت
للهدنة والاستقرار.. ثم إن رجعت واشتعلت الرغبة فإنه قد لا يبقى
أبدا مقاييس وضوابط لتلك الشهوة.. و لن يعود باستطاعتنا حينها
تحديد أفكار الصغير من الكبير.. فكلهم أصبحوا يجرون وراء
شهوتهم.. بغض النظر نهائيا عن أقمصة الأعمار التي يلبسونها..!

وربما قد لا تكون لنا حاجة كبيرة في أن نحلل بعدها فيما إن كان سيتضرر صاحب الشهوة من أفعاله السيئة في محاولة تلبيته لرغباته بطريقة سلبية أم لا.. لأن الأمور في تحديد ضوابط سيكولوجية الخطأ والتوبة تبقى خارج عن قدراتنا المعرفية مهما بلغنا من العلم.. لكن ما سنقف عنده حقا هو وجود نيزك ظلم مدمر للشرفاء الذين مارسوا رغبتهم وشهوتهم برقي أخلاقي عالي محصن من السلوكيات الممنوعة.. وتعاملوا مع شهوتهم في جميع المجالات واتجاه كل الأشخاص والأشياء على أنهم ذلك الحب الطاهر... ولا يُسمح أبدا الوصول إليه إلا بطهارة الوسيلة نادرون هم هؤلاء الأشخاص.. لكنهم موجودون.. ومظلومون جدا من إخوانهم البشر...!

ربما من أكثر الأشياء المتعبة للإنسان في حياته.. هو تلك الشهوة الغير قاصرة.. والتي لازالت تتطور يوميا بتطور الحياة.. فالطفل البالغ من عمره عشر سنوات والذي كان يشتهي بالأمس دراجة أو لعبة سيارة.. لعله اليوم أصبح يتمنى أن تكون عنده سيارة فيراري الحقيقية... والبنات الصغيرة التي لازالت تنام في حضن أبيها.. ربما من ضمن أمانيتها التي لا نراها هي أن تصبح أيضا ربة بيت.. وتلك الشهوة الخفية لهذه البنات ربما تكون

هي نفسها التي نلاحظها عليها عندما تُجسد دور الأم التي تطبخ أو التي تُرضع دميتهما بحجة أنها أما لها عندما تكون تلعب..!
 قد تبدو هذه الرغبات جميلة جدا.. والتي غالبا لا يمكن التصريح بها للغير كحلم صريح.. وهي في الحقيقة حقا جميلة.. لأنها تمتزج بأحلام البراءة والعفوية والتي لها أن تغمرنا بياضا وسلاما إن قررنا العيش بشفافية كل الأحلام..

فالشهوة إن تحولت إلى حلم عفيف.. فقد تصبح أكثر أهمية وستُسطر الغايات مباشرة.. فإن اشتهى صاحب الشهوة أكل فسيذهب لشراء الأكل.. وإن اشتهى عافية فسيشتري الدواء.. وإن اشتهى علما فسيذهب إلى المدرسة.. وإن اشتهى حبا أو أراد الباءة فسيقرر الزواج..!

وهكذا إلى أن تتحول الشهوة إلى أشياء عظيمة في الحياة.. ثم بعدها و إن تمكنت نفس الشهوة أن ترتقي إلى الحلم الذي أصبح مع الوقت واقعا.. فإن الحياة في تلك اللحظة ربما تكون قد ازدهرت والثمار قد نضجت أخيرا.. ولم يعد هناك مرحلة موائية غير مرحلة التلذذ بطعم تلك الثمار..

ولكن يبقى أنه من اشكاليات حاسة الذوق.. أن الطعم الذي نألفه يصبح عاديا مع مرور الوقت ولن نتلذذ به مثل الأول.. وفي هذه الحالة سيسود التعود والروتين.. ثم نميز بأنه يوجد من

الناس من سيقتنع ويحس بأنه قد شبع واكتفى بما عنده..
ومنهم من يبقى يحس بالجوع الدائم رغم أنه هو أيضا قد شبع..!
إن هذا المثال حي جدا في واقعنا.. والأزمة التي فيه هو أن
تبقى الشهوة شهوة مدى الحياة.. ولا يُرغب أبدا في تطويرها..!
هنا ستضيع النفس حقا في أرجاء التمني.. وسيصبح واقعها
واقع معاق.. لأن الحياة انحصرت عندها في نفسها.. وكل الآمال
أصبحت منحصرة في أن تعيش تلك السعادة اللحظية حتى ولو
كان بالتطفل والسرقة والزنا والغش وغيرها..

لنضيع بذلك بحثا عن المقياس الذي كان لابد لنا أن نقيس به
تلك الشهوة عند الإنسان..

فهل سنجدّه في مخبر الكيميائي بين محاليله وأنابيه.. أم
في عيادة الطبيب بين أجهزة الراديو والكشف.. وأم عند
الأخصائي النفسي بين كتب « فرويد » و« أرسطو ».. وأم بين
أدوية الصيدلاني.. أم أنهم كلهم أطفؤوا المصابيح وانظموا إلى
ذلك الإنسان العادي الذي يمشي مطولا في الشارع ليلا وهو
يحاول أن ينسى هذا النوع من الشهوات الدنيوية البحت..
ويغوصوا معه في شهوة معرفة أسرار الأرض والسما والنجوم

والقمر والهواء والنسيم.. وكل شيء.. وربما تكون تلك هي
الشهوة الأعظم.. وما غيرها من الشهوات كسراب الوهم..!

الوداع

نشرت أحد المقالات في إحدى الصحف حول الوداع الأخير للحيوانات الأليفة في برلين بأنه هناك علب مناديل كبيرة للغاية على الطاولة.. والموسيقى الهادئة للمزاج الكئيب.. وكتاب معروض عن موضوع عما إذا كانت ستُرى الحيوانات الأليفة بعد الموت أم لا..! وتُوفر شركة في برلين تسمى بورتاليوم محبي الحيوانات بباقة كاملة من طلبات الوداع لحيواناتهم المحبوبة.. ويتذكر في ذلك بأن « رجل ضخم » حقيقي.. مغطى جسمه بالوشم.. أي من هؤلاء الأشخاص الذين عندما نراهم تأتينا الفكرة الأولى عنهم بأنهم من الأشخاص الذين يتميزون بصلاية قلوبهم.. إلا أنه كان يبكي بكاء المتألم على فأر..!!

نعم.. إنها الفطرة الإنسانية التي جُبرت على الحب منذ ولادتها فالجنين عندما يكون في بطن أمه يكون مُتيميا بحنان الأحشاء والرحم.. وهناك تبدأ قصته مع حبه لوالدته.. تبدأ غريزة الوصال والتعلق والمشاعر الطيبة.. والتي تبقى أهم مسبباتها هو التعود والتعلق والاستقرار.. والطموح الحالم في أشياء سعيدة ومستقبل مفاده ثبات الأيام على ذلك الحال.. ثم بعدها نرى

أن أول ما نلاحظه للرضيع عند ولادته هو مشهده وهو يبكي..
 وكأن الرضيع في تلك اللحظة يرسل صرخة ألم كبيرة يُعبر فيها عن
 حجم ألمه لإحساسه بتضييعه لأجمل قصة حب قد عاشها منذ أن
 نُفخت فيه الروح.. وربما ذلك الصراخ والوجع هو أول حقنة من
 الحقن التي تحاول الحياة تلقيحه بها ضد مواقف أكبر ستعترضه
 في هذه الدنيا.. والتي سيضطر فيها في كل مرة على توديع
 الأشياء والأشخاص والمواقف والأماكن.. وربما النفس أيضا..!
 ليصبح مفهوم الوداع عند البعض مفهوم سائك مُلغم بأشواك الأوجاع
 ولكن الحقيقة ربما ليست دائما هكذا.. فالوداع مفهوم حيوي
 ارتبطت تفاصيله بالعاطفة... والعاطفة إذا دققنا فيها جيدا فإننا قد
 نجدها أكثر الأشياء ديناميكية.. فهي متزامنة مع حيوية الإنسان..
 فالإنسان كلما تخطى خطوة إلا وتغيرت المراجع التي ستم على
 إثرها دراسة النفسية، وبالتالي فإن النفسية في هذه الحالة ستبقى
 في تجديد مستمر.. وعليه فإن العاطفة هي الأخرى ستبقى في
 تغير دائم.. ولا تتوقف.. ويبقى أن كل ما نشتهي في أي إنسان هو
 فقط تحديد موقعه بدقة.. حتى تكون دراسة التجربة عليه ناجحة..
 ففي علم الفيزياء مثلا نلاحظ بأنه عندما تتم دراسة حركة
 الإنسان وفق مرجع الأرض كمرجع غاليلي.. فإن النتيجة قد لا

تكون نفسها عندما ندرس حركة هذا الإنسان وفق مرجع الشمس أو السيارة المتحركة أو الشجرة أو غيرها.. والمثال واحد.. فذلك الإنسان المتألم من الوداع والفرق.. فقد يكون من أجل ضمان جودة نفسيته هو اختيار مراجع مناسبة يعيش بها نشوة اللحظة رغم عمق ألمها..

هنا أيضا وعندما نكون في هذه الحالة النفسية.. قد يصعب علينا كثيرا التعامل بالاحتمالات.. بفرضية ربما يكون.. وربما لا يكون.. فنرجع من جديد لغيوبة أحزاننا.. مرهقين.. متعبين كلما تذكرنا حجم خسائرتنا وعنق الأيام المستقبلية التي قد نعيش مرارتها من ذلك الشيء أو الشخص الذي فقدناه..

في تلك اللحظات الصعبة.. والتي قد نحس فيها بأننا موضوعين تحت مداس الحياة.. قد يتعذر علينا توجيه الخطاب الديني الصريح الذي يتوعدنا بالفوز بجنت النعيم جراء صبرنا.. ونحن أصلا ربما عشقنا ذلك الشيء الدنيوي لأننا كنا نريد أن نصل به ومعه إلى تلك الجنت.. وأنا حقا هذه المرة نريد ذلك الشيء..! وإن حدث ووصلت الذات إلى هذه الدرجة من الألم عند حالات فقدانها.. فربما يكون منتهى الإدراك في ذلك.. هو أن لحظات الفراق التي عاشتها لم توثق أبدا بوداع صريح.. لم

يوثق بذلك الوداع الذي يقنع النفس بالصبر.. ويبرهن للعقل بأن أسباب الوداع باتت مفروضة.. فيستجيب لها العقل ويهيب للقلب و للجسد طريقا لتحمل الصدمة.. ثم يغلف القلب نفسه بآمال جديدة في الحياة..

لكن عندما يحدث ذلك الاختفاء فجأة دون لحظة تلك الوداع فإن العقل سيهتز بتلك الأسئلة والإقتراحات التي مفادها لماذا وكيف وربما لفعلت كذا لحصل كذا.. وهكذا إلى أن تغرق النفس وجعا..! في هذه اللحظة كان الأجدر بنا أن نطفو فوق أحزاننا وأن نغمض أعيننا وهي مفتوحة وأن نرى لأنفسها نوعا آخر من الوداع.. وهذا الوداع قد يكون أجمل وداع عرفناه إن تجهزنا له جيدا.. وهو وداع الدنيا بأوجاعها وآلامها.. حينها وعند إتقان هذه العملية واستكمالها بنجاح.. فإن هذا الإنسان يكون بطريقة غير مباشرة قد علم نفسه درسا مفاده أن الحياة هي رحلة قصيرة في أدغال المشاعر العنيفة بتعاستها وسعادتها.. وأن هذه الرحلة لا بد لها أن تنتهي يوما.. و إن طال بنا أو قصر الزمن فإننا سنقف حقا على لحظة الفراق النهائي لدينا كان يجدر بنا أن نجري وراء فهمها أولا قبل أن نعيشها مثل الحمقى باستسلام دائما لمشاعرنا.. ففي استنفهامات لماذا نودع وكيف نودع أسطر كثيرة..

فعن إجبارية الوداع نقول بأن النهايات تفرض نفسها أحيانا.. فهناك نهايات تُمنع فيها الاستمرارية.. فعندما نأخذ من أمثلة الحب الكثيرة التي نميز فيها كثيرا من الدموع والآهات عند نهاية كل علاقة.. نجد أن أغلب الظن هو أن هذه العلاقات قد بدأت بعواطف ملتهبة غير مدروسة.. وجراء تلك العواطف اضطر أحد الطرفين أو حتى كلاهما إلى خسارة و توديع شخصيته.. أو ربما حتى مبادئه وأحلامه أو شيء من ذواته.. ثم بعد فترة قصيرة.. وبعد خمول وبداية تَعُوده على تلك العلاقة.. اشتاق إلى نفسه القديمة التي تخلى عنها فقرر العودة إليها.. تاركا من أوهمه بالحب في يوم من الأيام في دوامة ألم كبيرة.. ثم عن فراق الأشياء والذوات نتحدث.. كفقدان الصحة ومن دون أي مقدمات.. ليجد هذا الإنسان نفسه قد تحول إلى طريح الآلام المستمرة وأبسط واجباته وحاجاته الشخصية يحتاج فيها إلى إعانة.. فيحس بأن حياته قد قل نبضها وأصبحت هشة وتقل عن حياة الآخرين بدرجات..

ولكن.. وبالرغم من تعدد أصناف الوداع إلا أن حق مفهومه يغيبنا عن ألمه.. فالوداع هو مخطوط نفسي.. نوثق به اللحظة.. وتحفظه الذاكرة على مر سنين حياتها.. والغريب في الأمر أن

الإنسان كلما تذكر لحظات تلك الوداع وهو في خلوة مع نفسه
إلاّ وابتسم رغم عمق كل آلامها..!

وهذا دليل صريح بأن اللحظات لم تُخلق للنسيان.. وإنما على
الإنسان أن يُخبي كل أصناف الوداع في خزائن الذكريات الطيبة
التي نأمل بتحسّن جودتها واسترجاع تفاصيل السعادة فيها في
موعد آخر مع القدر.. ولربما كان لنا لقاء مستقبلي أجمل مع
ذلك الشيء الذي ودعناه بألم كبير في وقت مضى..!

كما أنّه من ميزات سعادة النسيان العذري أيضا.. هو أن لا
نضغط على أنفسنا بنسيان اجباري للحظات ومواقف وأشخاص
رحلوا عنا دون أن يرسموا لنا خاتمة تحترمها المشاعر الرقيقة..
ونترحم فيها على كل لحظة عشناها معهم.. لأن الزمن كفيل بأن
نرى فيه العجب من الأحداث التي لها أن تودع فينا ثروة من
النسيان دون أن نكلف أنفسنا عناء ذلك..

إن أجمل ما في النسيان هنا هو قدرتنا على صنع لحظات
وداع ترضي أحاسيسنا وتغرقنا في نشوة السعادة الداخلية التي قد
لا يشعر بها أحد غيرنا..

فعلى الذاكرة هو أن تستحضر الجمال من أجل أن تعيش الجمال.. وألاً تغمس رأسها في كل مرة تحت الوسائد من أجل النسيان.. ولكن الأجمال هو أن تعيش بوداع مؤجل.. وأن تستحضر كل طاقاتها الإيجابية من أجل رسم عالم أجمل بنكهة بصمات القلوب المتألّمة والآملة في نفس الوقت..

حينها وبرمجة هذه التقنية.. ستصل الذات إلى مراحل معتبرة من النضج الشعوري الذي سيخلصها من وهم الماضي.. وتصنع في داخلها جوا عاطفيا يعلمها كيف تتعلم لباقة التوديع عندما يروق لها الرحيل.. وكيف تعيش بذاكرة الدمج بين النسيان والتذكر.. والتي قد تبرهن للجميع بها بأن النظام الكوني سيبهره بأسرار الرد عندما يترفع الإنسان عن سلبية الانتقام.. ويتبنى رد البصمات الإيجابية.. التي يبقى فيها السؤال قائماً.. هل حقا قد انتهى الألم الذي بداخلنا أم لا؟

السقوط

إن من أجمل اللحظات التي قد يعيشها أي إنسان.. هي تلك اللحظات التي يمارس فيها طقوسه مع نفسه بأنس ومحبة رغم اختلاف المفهوم العام وتضاربه مع مفاهيم الآخرين.. فعندما نتكلم عن أوراق الخريف بمفهوم بعض الأعين الفنانة التي ترسم لوحة فنية راقية بأحاسيسها لسقوط تلك الأوراق الصفراء التي تخلت عن غصونها.. وراحت تتمايل وتتأغم قبل أن تلامس التراب الذي رواه مطر تشرين.. ومن راقب الأوراق وهي تتبختر لترتمي بعد هنيهة بين أحضان الأرض.. يظن نفسه أمام مشهد عشق لا يوجد أجمل منه.. أما أوراق أشجار الصفصاف فقد تراقصت وتمايلت ورسمت مشهدا رائعا للغاوية.. ولكن يغوي من؟ هل يغوي تلك الورقة التي لو دققنا في لونها وشكلها لوجدناه اصفرار مذبل أجبرته الفصول والظروف على أن يأخذ ذلك اللون الذي هو في الأصل اصفرار نهاية الصلاحية.. وحتى ذلك المشهد الذي كانت ترسمه بتمايلها وتراقصها فإننا كنا قادرين على أن نعطيه عنوانا آخر يليق به أكثر وهو... « في مهب الريح »!.. وربما قد يكون هو نفسه ذلك العنوان الذي قد نختاره عندما نتكلم عن السقوط بالنسبة للإنسان!..

فالسقوط بالمفهوم الفيزيائي هو نزول الشيء من مكان مرتفع إلى مكان أقل ارتفاع بقوة ارتطام..

وهنا بالضبط نكون قد توصلنا إلى المفاهيم المفتاحية الثلاث والمتمثلة في العلو.. الانخفاض.. قوة الارتطام.. وقد أصبحنا حينها قادرين على أن نرسم لوحة فنية غامضة المعاني.. كأن نرسم سلم صعود منكسر.. أو درج طويل المدى.. أو ما شابه ذلك.. وهي بالضبط نفس معاني تلك الصور التي تصرخ داخل كل إنسان يعيش تلك اللحظات من أجل تمزيقها ومحو تفاصيلها من ذاكرة تريد أن تنسى..!

لا نعرف إن كنا قد أصبحنا نتكلم بلغة المتفائل أم المتشائم.. ولكن ما نود الوصول إليه هنا هو فقط ترصد نفسياتنا عندما كنا نعم بطيب الحياة وعلو مكاسبها.. ثم فجأة ينقلب بنا الحال ونخسر من أشياءنا الثمينة الكثير.. فتجدنا منعزلين في التفكير.. وحواسنا الخمس ترسم تلك الصورة الذهنية لشخص ساقط على الأرض.. بعد أن كان في علو منعش.. وهنا بالضبط ستصبح النفس أسيرة تلك الأسئلة الكثيرة.. أهمها ترى لماذا سقطنا هكذا سقوط؟ وكيف لنا أن ننهض بعد كل تلك الخسائر يا ترى؟ من أجل تحليل هذه القضية نستقي من الجدل الرائع الذي دار

بين أرسطو وغاليلي.. حيث اعتبر أرسطو بأن الأجسام الثقيلة تسقط قبل الأجسام الخفيفة .. بينما رأى وبرهن غاليليو بأنه لا علاقة أبدا لوزن الأشياء بالسقوط.. بعد أن أجرى تجربة قام بها بإقناع علماء أوروبا ببطلان ميكانيك أرسطو.. حيث أحضر عدة كرات لها نفس الحجم لكنها مختلفة الأثقال.. بحيث أنها كانت مصنوعة من مواد مختلفة.. وتركها تسقط من أعلى برج بيزا بإيطاليا.. وانبهر الناس حينها عندما رأوا أن هذه الكرات تترافق أثناء سقوطها على اختلاف أوزانها..!

وهو ما نفسر به بدهاة التعميم التي نعيشها.. وأن كل إنسان على هذه الحياة مهما كان وزنه ومكانته في المجتمع.. فهو مُعرض ومن دون استثناء لابتلاءات شديدة في حياته.. تأخذ نكهة السقوط في كل مرة..!

أما حقيقة الوهم في كل سقوط نعيشه هو بمقياس مشاعر الأحلام التي تأتينا ليلا أحيانا عند فوهة النوم.. عندما يراودنا حلم ذات ليلة ونحن نسقط من مكان مرتفع.. ثم نستفيق منه ونسعد جدا لأن ذلك قد كان حلما..

ربما الحقيقة هي نفسها.. فقد يحدث بنا أن نستفيق ذات مرة في عالم آخر.. لنجد أن قرح السقوط الذي عشناه ذات يوم ما هو إلا على هيئة حلم عابر.. وأنه قد كان مجرد وهم سابق..!

عالم ما فوق الواقع

لا نعرف إن كنا سنسميه كمين.. أم عالم جميل... سعادة أم
تعاسة.. ضياع أم وجود أم ماذا بالضبط..؟!
إن الواقع هو كل شيء.. هو الصباح والمساء.. الليل والنهار..
التعب والإرهاق.. السعادة والحزن.. المدرسة والمستشفى..
الموت والحياة.. وكل شيء..!

الواقع هو الحقيقة التي لا نستطيع أن نهرب منها أبدا.. فهو
يتسلل إلينا من كل مسرب.. فهو قد يدخل لنا من الأنف كرائحة
لا نطيقها.. أو من الأذن ككلام يؤلمنا.. أو حتى باحتكاكنا مع
الجو كبرد أو حرارة مرتفعة تزعجنا..!

كل ذلك في الأصل هو واقع يصل ويجول في أعماقنا ويحدثنا
من كل مكان.. ويقيدنا قيد السجين المعتقل.. لذلك فإنه مهما
فعلنا فإننا لن نستطيع التخلص منه نهائيا رغم رغبتنا الشديدة في
ذلك في كثير من الأحيان..!

وربما ذلك التضارب الذي نعيشه في تضاد المفاهيم بين الحب
والكراهية.. والسعادة والحزن.. والعطاء والحرمان.. والاستقرار
والفوضى.. هو من يجعلنا نعيش في دائرة مغلقة من الكآبة

والقلق المستمر.. ويتركنا رهائن الخوف المتواصل من ضياع
الواقع الجميل الذي نعيشه.. أو من عدم قدوم الواقع البهي الذي
نحلم به.. نهائيا..!

وهذا القلق الدائم والمتواصل والذي لا ينتهي.. سيدفع حتما
رغباتنا إلى محاولة خلق عالم جديد فوق عالمنا المعاش.. وهو
عالم وهمي افتراضي مرصع بالواقع..!

فكما أن الطبيعة لا تأبى الفراغ فكذلك هي الذات أيضا.. لا
تأبى الفراغ العاطفي الجميل.. لذلك تجدنا نذهب مباشرة إلى
البحث عن أحاسيس تعويضية نغطي بها حجم ما فقدناه...!
وهذا الواقع الافتراضي المتبنى.. له في الأصل أصبغة متنوعة..
فمنا من يلجأ إلى النوم المستمر.. النوم الذي قد لا يختلف
كثيرا في تركيبته الروحية عن الموت.. فهو ينقل الإنسان إلى
عالم اللاوعي.. والذي ينسينا تماما حجم الخسائر التي لحقت
بنا.. ومنهم من يلجأ إلى المخدرات والمسكرات وإدمان مواقع
التواصل الاجتماعي وممارسة اللا أخلاقيات فيه..

وكلها في النهاية ما هي إلا فوضى حواس مبعثرة... ستصنع حتما
بعد حين عالما افتراضي وحقيقي أكثر بعثرة.. وتصبح الذات
بعدها أكثر خرابا من الأول...

فالسيارة التي ظلّت مدة طويلة لا تعمل.. ثم يراد تشغيلها بعدها
فإننا قد نجدها تعطلت..

والحديد الصلب الذي جهز لمهام معتبرة.. عندما ظلّ فترة طويلة
من دون عناية تحت مؤثرات الطبيعة.. صدأ.. وأصبح يتحاشى
لمسه والعمل به.. !

ربما الحقيقة الصعبة التي نتحاشى مواجهتها ومقابلتها.. ونظّل
نهرب منها طيلة الوقت هي أصدق مرآة لنا.. وهي نفسها المرآة
التي بإمكانها أن تساعدنا على أن نظهر بأجمل وأبهى صورة
ومنظر.. قبل خروجنا لمواجهة العالم..

فما علينا إذن إلا أن ننظر إلى تلك المرآة ونحن مقتنعين بالجمال
وبالأساسيات التي لا تتغير فينا.. فالجسد هو جسدنا وإن كان
يبدو متعباً ومنهكاً.. وليس مثل تلك الفترة الطويلة التي لم نر
فيها أنفسنا في مرآة حقيقتنا.. وذلك الوجه هو وجهنا.. وإن كان
يبدو شاحباً وحزيناً.. وذلك الشعر هو شعرنا وإن كان يبدو بليداً
وليس كسابق عهده.. وهؤلاء هم نحن.. لأن مرآة واقعنا لا يمكن
لها أن تورينا غير نحن..!

إلا أن السعادة هنا تبقى كامنة في تفاصيل الوهم.. فالإنسان
تعايش مع وهم الحياة على أنها حقيقة أبدية.. ومع أنه يدرك

تماما أن لها نهاية حتمية.. إلا أنه تجاهل تماما هذه الحقيقة..
وغاص في وهم السعادة المفقودة.. التي كان يظن فيها بأن لها أن
تتحقق بلعبة افتح يا سمسم.. وعندما اصطدم بواقع أن هذا النظام
الذي يحقق كل ما تشتهيهِ الأنفُس لم يُخلق بعد.. لم يستطع
تحمل تفاصيل هذا الواقع المؤلم.. وذهبت مشاعره لتهم في
عالم البحث عن عالم آخر تتحقق فيه السعادة ولو النسبية..!
... ونسبية تلك السعادة جعلت البعض منا ينجح في اختيار أنواع
العالم الآخر الذي قرر الرحيل إليه.. وذلك في نفس الوقت الذي
قد يفشل فيه الكثير في الاختيار..

« إن الانسان الذي لا يقوى خياله أن يتسع حتى يمكنه من
تجسيد جواد يعدو فوق حبة من الطماطم هو شخص ضيق
الأفق » .. عبارة جنونية كتبها « أندريه بریتون ».. الفيلسوف
الفرنسي ومؤسس الحركة السيربالية.. وهي محاولة فنية لمزج
الواقع والخيال معا فيما يعرف ب « فوق الواقعية ».. وهي حركة
سعى بها كثير من الفنانون والشعراء والكتاب السرباليون إلى تحرير
الناس روحيا ونفسيا واصلاح بها الأذى النفسي الناجم عن الحرب

العالمية الأولى.. والتي تمكنت من تحقيق نجاح خارق حينها.. وربما بخصوصية هذه الحركة نجد بأن كل واحد فينا بإمكانه أن يكون سيربالي وفق ضوابطه الدينية التي تضمن له خيالاً واسعاً يطفو به فوق الواقع دقائق وساعات وليالي طويلة.. بنكهة بريئة واحساس فن وطهارة.. ويندمج فيه إلى تلك الدرجة التي لم يعد يستطيع بعدها التمييز بين عالم الواقع وعالم ما فوق الواقع.. فكلهم كالوهم يختفون بسرعة..!

الحريق

لم يكن الحريق حريقا عاديا أبدا.. فالمادة التي تفاعل معها
أوكسيجين الحياة لم تنزل تعرف بعد... هل هي مادة صلبة بصلاصة
الجسد والقلب حتى أدى إلى نشوب ذلك اللهب الداخلي الغير
مرئي.. وتأكلهما خفية إلى حين الإحساس باضمحلالهما نهائيا..
أم هو حريق كهية التفاعل مع غاز والمكونات اللامرئية للكيان
كأمثال الروح.. حتى تم تفعيل ذلك الإحساس الدائم برماد
النفسية داخليا!!..

أم أنه لهيب من نوع آخر تعذر فيه معرفة السبب والمسبب
والمتفاعلات الرئيسية لهذا الحريق.. والذي سيؤدي حتما إلى
ضياع في التفتيش على تلك الأدوات المناسبة لإخماد تلك
النيران .. فأدوات الإطفاء تختلف باختلاف نوعية اللهب!!..

ذات يوم اشتعلت نيران قوية وهمية.. بينزين الذكريات والمآسي
داخل جسد جد ضعيف.. ثم رجعت لتخمد وحدها دون مساعدة
أحد.. لأن حينها ربما كان العمر في بداياته.. ولا زالت نوافذ
الأمل مفتوحة فأخمدت برياح نسيانها شعلة كل تلك الذكريات ..

أما اليوم و قد زاد العمر تقدما.. ترى هل ستستطيع تلك اليد المرتجفة أن تفتح نوافذ أملها المغلقة.. أم أن ارتعاشتها ستجعلها ترمي بذكرياتها خارجا وتتخلص منهم بنسيان أبدي لكي لا تزيد تلك النيران اشتعالا بهم.. أم أنه سيُفضل تحويل تلك الذكريات إلى رماد داخلي يُنتفع به.. أم ما هو الحل يا ترى؟

قيل في حق الرماد بأنه صاحب الفائدة الكبيرة في المساعدة على نمو النباتات في الحديقة.. وعلى المساهمة في ازدهار النباتات المثمرة وتقوية جذور الفاكهة.. كما يستعمل أيضا كمبيد للحشرات ولغايات التنظيف.. وأنه كذلك يعتبر مزيلا جيدا لبقع الصدأ.. وحافظا مهما للجبن من التعفن..

ربما الإجابة الآن عن سؤالنا السابق أصبحت واضحة.. فرماد ذكرياتنا إذن قد تكون له تلك الفائدة الكبيرة في نهضة الأرواح وازدهار النفسيات وتقوية جذور البصمات في الحياة و إزالة به صدأ أرواحنا و حمايتها من التعفن..!

لذلك وطالما نحن بشر فإننا حقا يجب علينا أن نكون مهيين في أي لحظة للهب قد ينشب في داخلنا..!

ويبقى المميز في ذلك الحريق.. هو أنه لا أحد أبدا بإمكانه أن يراه.. فهو حريق يأكل المشاعر والأحاسيس بنكهة صامتة.. وبإستطاعته أن يحول كل شعور جميل داخل الإنسان إلى فناء لتتجسد لنا أسئلة الإطفاء في ذلك.. تُرى لماذا نسمح لهذا الحريق أن ينشب بداخلنا و شعلة بدايته بإمكاننا أن نطفئها بإطفاء شعلة الحياة فينا؟

ولماذا نسمح لأنفسنا بأن نحترق وهما.. ونحن ندرك بأن حريق الوهم لا يطفئه إلا إدراكنا التام بأننا نعيش على حياة الوهم..؟!؟

الخطأ

إن الحياة توليفة معقدة من الهموم والمشاكل والعراقل.. إلى درجة إحساسنا بأن فيها مواقف تتركب دبابة تدمير بيوت السعادة فينا.. وهذا شيء معهود وأزلي.. وما يزيد الطعم حلاوة في هذه المفاهيم الفطرية.. هو أن شهوة الدين الخفية لدى كل إنسان فينا تفوق في حقيقتها شهوته لكل شيء من أشياء الدنيا.. إلى درجة أن حتى الملحد بإمكانه أن يرق قلبه وينصت إنصات الخفية ومن دون أن يشعر إلى رجل دين.. وذلك فقط لكي يرضي بعض من متطلباته الروحية.. وربما هو أيضا لا يعي تلك الحاجة الخفية أصلا..!

وهذا الإلحاد في الحقيقة نحن أيضا نعيشه من دون إدراك منا فالإنسان وبالرغم من عقيدته المتزنة والتي تخبره عن ضرورة ممارسة السلوك السوي والثبات والمقاومة والتحمل من أجل ضمان الاستقرار في السعادة ولو النسبية في تلك الحياة المتواصلة حتى بعد فجوة الموت.. إلا أنه يكون ملحدا مع فكرة المثالية بمجرد وقوعه في مشاكل الحياة.. وتبقى الأمور نسبية في ذلك.. أي أن الإنسان بصفة عامة مهيء للتمرد..

ولإنفصامه عن شخصيته السوية في محاولاته الكثيرة والمتكررة في البحث عن سيكولوجية جديدة للنسيان!!
وعندما تصبح بوابة الأخطاء هي أول مسلك للإنسان للخروج من عالمه الذي أصبح يبدو له عالم كئيب جدا.. فإنه بذلك يكون قد أجبر نفسه على دخول عالم جديد أشد عتمة.. عالم مليء بالأشباح المتنكرة!!

الغريب في الأمر هو أن ذلك الإنسان قد لا يخاف تلك الأشباح التي كان يخاف منها سابقا.. وذلك لأن ضغوطات الحياة جعلت نظرتة للحياة تتغير.. وأصبح في نظره معظم تلك الأشياء هي أشباح.. وأول هذه الأشباح هي الحياة في حد ذاتها.. مغيرا بذلك أيضا رأسمالية أفكاره.. منتهجا فكرة: «ولأن النفوس اللطيفة تخاف من الأشباح والمتمردون لا يخافون منها.. فلا بأس بالتمرد إذن»!

إلا أن تمرد أصحاب المبادئ السوية يبقى ذات بصمة مختلفة ومغايرة.. حيث أننا نميز فيه تلك الارتجالية والمكابرة في اتخاذ القرارات.. فتجد عالم الشخصية الأصلية يرفض تماما هذا التهجين السلوكي.. ولكن تبني فكرة الإلحاد في مثالية التصرفات يجبر الذات على المكابرة في ضرورة التخلي عن المبادئ الأخلاقية العالية والغوص في تفاصيل الخطأ.. مع ممارسة فن تناسي تلك

الأخطاء.. أي أن هذا الإنسان يجبر نفسه على الدخول في متاهة النسيان دون أن ينتبه بأن الوسائل التي كان يستعملها ظانا منه أنها وسائل تنظيف سيغسل بها الذاكرة لكي تمحي كل شوائب الفشل والأسى والتعب والحرمان.. والتي كُتبت عليها في الأصل مبيدات سُمية لكنه فقط لم ينتبه..!

إن التمرد هي حكاية زلزال عنيف يحدث على مستوى الروح.. وبالرغم من أن خسائره كبيرة ولا تعد ولا تحصى.. إلا أن ذلك الإنسان يظل يوهم نفسه بأن تلك الحركات هي رقصة مبتكرة على أوتار الحياة الجديدة التي قرر أن يعيش فيها..! ويبقى على هذه الحالة إلى أن تأتي ضريبة الخسائر الاستشعارية التي تكون نتائجها مباشرة وصادمة ولا مجال فيها أبدا للهرب منها.. وتكون الحقيقة الأكثر صدقا هنا هو أن هذه الطريقة للنسيان هي طريقة وهمية وغير صحيحة أبدا.. والجريمة الأكبر في حق النفس.. هي أن يبتكر ذلك المتمرد تمردا جديدا لنسيان جديد.. حينها ستضيع هويته بين المد

والجزر.. ستضيع معالم وجوده على الحياة.. ثم مع ازدياد هذه الأخطاء سيحس ذلك الإنسان بتفاهة نفسه.. ويغوص في أعماق البهتان.. يبحث عن نفسه فلا يجدها.. لأنه بتمرده قد تحول إلى إنسان تائه.. ضائع.. فاقد لحس الأشياء.. والأعنف أن مفهومية هذه الأخطاء من بقية البشر تبقى ضعيفة جدا.. فنادرون هم من يلتمسون الأعذار لأخطاء غيرهم..

وهكذا تمضي الحياة بنا مع سلسلة الأخطاء المتتالية.. قدما نحو حياة جديدة.. حياة قد لا تشبه كثيرا الحياة التي قبلها.. حياة نتمنى فيها لو كان بإمكاننا أن يرجع بنا الزمن قليلا إلى الوراء.. لعلنا نستطيع إصلاح بعضا من الذي مضى.. ونصلح خراب الأخطاء الماضية التي ارتكبتها سابقا بحجة وهم السعادة التي هي في الأصل زائلة..!

حقائق في الوهم

لماذا يجب علينا أن ننسى..؟

ثم انه يجب علينا أن ننسى أحيانا..

لأننا ببساطة نحن بشر.. خلقنا لغاية معينة.. وإن استسلمنا لمواجعنا وآلامنا فإننا نكون قد ضيعنا دنيانا وآخرتنا معا.. من جهة أخرى نحن كيان لنا وزن في هذه الحياة.. وإن تخلينا عن كينونتنا لأجل حزن أصابنا أو ألم مسنا.. وسمحنا بتآكل كياننا.. فإننا نكون بذلك قد ساهمنا ومن دون أن نشعر في اختلال توازن الكون الذي خُلق بتوازن كبير.. وخلقنا نحن لنكون خلفاء لهذا الاتزان!.. إننا وككل البشر عندما نحس أنفسنا بأننا ضيعنا شيء من أشياءنا الثمينة.. كانت حلمنا وواقعنا وأجمل ما في حياتنا.. نحس بأن عالمنا قد توقف في تلك اللحظة.. وأنه أصبح ليس من الضروري أبدا مواصلة الحياة.. بل أننا نتمنى لو أن العالم قد توقف.. لندخل في سبات طويل نتخلى فيه عن أنفسنا نهائيا.. سبات لا نريد أن نستفيق منه إلا عندما يرجع ما قد فقدناه وتلك اللحظات القاسية هي في الحقيقة همزة وصل بين سعادة أو تعاسة جديدة ولنا الاختيار في ذلك!..

تأتي التعاسة ويأتي اختلال توازن الكون عندما نصر على أن نبقى سجناء هذه الأحزان.. فيقل نشاطنا وحيويتنا.. وتنقص مصداقية وظيفتنا في هذه الحياة.. ثم بعدها ومباشرة ومن دون دراية منا.. سنقوم بنقل عدوى أحزاننا لجميع من يحيطون بنا خاصة منهم أهلنا وذوينا.. لأنه من الصعب جدا أن لا يتألم الوالد والوالدة لحزن ابنهم.. أو الأخ والأخت لحزن أخيهم.. أو البنت والولد لحزن أبيهم..

بل انهم سيتألمون كثيرا وتسود الكآبة وبرودة المشاعر داخل البيت.. وتغيب الحيوية ويصبح الجو مملا لا طعم فيه.. وبالتالي فإنه من الحتمي جدا أن يختل التوازن النفسي والإنتاجي للأسرة بل وللمجتمع كله.. لأن الأسرة بدورها هي في احتكاك دائم مع المجتمع.. والمجتمع بصفته هو أيضا في احتكاك دائم مع بقية المجتمع.. واتساع هذه الحلقة تؤدي إلى تغطية العالم كله وبالتالي ومن دون أن نشعر أبدا نكون قد ساهمنا في اختلال توازن العالم بأسره..!

لندرك في هذه النقطة أننا حقا أناسا مهمين جدا في هذا العالم.. وأنه لمن المتعة والفائدة المذهلة أن نسمح لأنفسنا بأن تكون آخر آلامنا وآخر أوجاعنا هي بداية لسعادة جديدة

في حياتنا ولجميع من حولنا.. وليس شرطا أبدا أن نجد بديلا
للشيء الذي فقدناه لكي ننسى و نصبح سعداء.. إعتبارا لأن
الفطرة الشائعة.. هي أننا نقبل فكرة التغيير.. وفكرة التخلي عن
الأحزان عندما نجد شيئا معيناً يجعلنا سعداء.. وإن لم نجد
فسنضطر لمواصلة أحزاننا..!

هنا يجب أن نعلم جيد بأن السماء لا تمطر السعادة.. وأنها
إن قررنا السكون وقررنا أن نعيش دور الضحية فسنبقى كذلك..!
وما يجب أن ندركه جميعاً.. وأن نصل إلى درجة اليقين فيه..
هو أن السعادة الحقيقية تكمن في تلك التفاصيل الصغيرة في
الحياة.. والتي يجب علينا أن نحاول خلقها لأنفسنا وبأيدينا دون
أن نتظرها من أحد..!

كيف ننسى؟

لعلّ أول هذيان النفس بمجرد وقوعها في فخ الذكريات هو ذلك
التساؤل العميق.. الذي نحاول أن ننسج به في كل مرة خيوطا
من الأمل لمستقبل أكثر إضاءة لنا.. وهو.. كيف لنا أن ننسى..

وكيف لنا أن نتجاوز تفاصيل الذكريات فينا.. وكيف لنا أن نهض بروح خفيفة من دون ضغط ولا إجبارية في محاولة النسيان.. وباختصار.. كيف لنا أن نحفظ بمصادقية انتاجنا الحيوي رغم كل ألم وألم..؟

مما لا شك فيه أبدا.. أن كل واحد منا قد مرّ في مرحلة من مراحل حياته بحالات من التعلق والحب الجذري.. والذي لم تتوقف جذوره على الحب القاصر على حب الهوى والعشق وغيرها.. وإنما امتدّ لنخص به أيضا حالات الحب العذري.. بداية من حب الأشياء.. ثم انتقالا إلى حب الأشخاص كحب ولد لأمه.. أو حب فتاة لأخيها أو أبيها.. أو تعلق صديق بصديقه أو غيرها..

ثم مع خسارة إحدى هذه العلاقات بموت أو فراق أو تخاصم يدخل المحب في حالة من الضيق والحزن واليأس والاكتئاب.. وتذكر المحبوب والأحداث المرتبطة به.. والذكريات الجميلة معه في كل لحظة.. فنجد أنفسنا حينها في مأزق كبير.. ونحتاج حقا للإجابة عن سؤال.. كيف ننسى؟

في إحدى الدراسات الحديثة التي أجريت على المحبين.. وُجد بأن هناك نقصا في تركيز السيروتونين.. وهو موصل عصبي

له العديد من الوظائف النفسية.. وهو مسؤول عن الكثير من الاضطرابات النفسية والاكتئاب والقلق والوسواس القهري والاضطرابات الجنسية.. وبملاحظة ما يحدث في مرض الوسواس القهري والذي يشترك مع الحب في نقص من تركيز السيروتونين في المخ.. نستطيع أن نجيب على السؤال السابق طرحه.. لماذا يصعب نسيان من كنا نحب؟.. فنحن ننسى المعلومات التي لا نستخدمها.. مثل نسيان المعلومات التي درسناها في مراحل التعليم الدراسي المبكرة في حياتنا لعدم استخدامها!..

لذا لكي ننسى ما كنا نحب يجب علينا أن نبعد كل شيء يذكرنا به.. وهذا ما يصعب عمله وذلك لانخفاض تركيز السيروتونين بالمخ.. والذي تظهر معه أعراض مشابهة لأعراض الوسواس القهري.. فمرض الوسواس القهري يكون الغرض الرئيسي هو الوسواس الذي يمكن تعريفه بأنها فكرة أو ذاكرة أو كلمة أو منظر خاطئ أو غير محبب ليعرف المريض أنه لا يجب أن يفكر فيه ولكنه لا يستطيع إيقاف التفكير فيه.. ويستسلم لهذه الأفكار بالرغم من خطأها وغرابتها أحيانا..

وهذا تقريبا ما يحدث عندما تنتهي علاقة حب بالفشل.. ونعلم أنه ليس هناك أي أمل لاستعادة هذه العلاقة.. وجراء ذلك الألم

الذي تسبب في إنهاء تلك العلاقة فإنه من المنطقي إذاً، أننا نرغب في عدم التفكير فيها مجدداً ونسيانها تماماً.. إلا أننا نجد أنفسنا مقهورين على التفكير في المحبوب!..

هل يمكن أن نتعلم كيف ننسى؟

من منطلق إحدى البحوث العلمية ...

بعد أن تمتد أيدنا بشكل تلقائي للإمساك بوعاء ساخن وهو يسقط من فوق الموقد.. ربما نكون قادرين على أن نسحبها في اللحظة الأخيرة لتجنب الإصابة بحروق.. وكل ذلك يعود إلى أن نظام التحكم التنفيذي الخاص بالمخ بإمكانه التدخل لإيقاف سلسلة من الأوامر التلقائية.. وتشير العديد من مجموعات الأدلة الجديدة إلى أن الأمر ذاته يمكن أن يكون صحيحاً عندما يتعلق الأمر باستجابة التذكر.. وأن المخ يمكنه إيقاف الاسترجاع التلقائي للذكريات التي قد تكون مؤلمة..

تستقر الذكريات داخل المخ في شبكة من المعلومات المترابطة نتيجة لذلك يمكن لذكرى معينة أن تدفع أخرى وتجعلها تطفو إلى السطح دون أي جهد واع.. يقول مايكل اندرسون عالم

الأعصاب بجامعة كامبردج: « عندما يحدث ما يذكرك بأمر ما.. يكون رد الفعل التلقائي من جانب العقل أن يسدي إليك معروفا بأن يحاول توصيل الشيء المرتبط بتلك الذكرى.. ولكننا أحيانا نحصل على ما يذكرنا بأمر لا نرغب في التفكير فيها.»

بالرغم من ذلك إن البشر ليسوا معدومي الحيلة اتجاه هذه العملية تشير دراسات تصوير الدماغ السابقة إلى أن المناطق الأمامية من المخ يمكنها أن تضعف نشاط ما يعرف بالحصين.. وهو مكون بالغ الأهمية للذاكرة.. ومن ثم تكبح عملية الاسترجاع وفي إطار المحاولات المبذولة لتعلم المزيد من ذلك الأمر عمل أندرسون وزملاؤه مؤخرا على دراسة ما يحدث بعد كبح نشاط الحصين.. طلبوا من 381 طالبا جامعيًا أن يتعلموا أزواجا من المفردات بعيدة الصلة بعضها ببعض.. وفي وقت لاحق عرض الباحثون احدى تلك المفردات على الطلاب.. وطلبوا منهم استدعاء الأخرى المرتبطة بها والعكس.. على ألا يفكروا في الكلمة الأخرى بصورة فعالة.. وفي بعض الأحيان كان الباحثون وسط تلك المهام يعرضون على الطلاب صورا غير معتادة.. مثل صور طاووس يقف في الساحة لانتظار السيارات..

وكما هو موضح في دورية نيتشر كوميو نيكشتر وجد الباحثون

أن قدرة المشاركة على استدعاء صور الطاووس وغيرها من الصور الغريبة.. كانت أقل نسبة تقترب من 40 في المئة عندما وجههم الباحثون قبل مشاهدتهم الصور.. أو بعدها إلى عدم تذكر الكلمات مقارنة بالتي طلب منهم فيها تذكر الكلمات.. وتقدم هذه النتيجة أدلة إضافية على أنه توجد آلية للتحكم في الذاكرة كما تشير إلى أن محاولة نسيان ذكرى معينة بصورة فعالة يمكنها أن تؤثر تأثيرا سلبيا على الذاكرة العامة..

يسمي الباحثون هذه الظاهرة باسم « ظل فقدان الذاكرة ».. لأنها من الواضح أنها تمنع تذكر الأحداث غير ذات ذي الصلة التي تقع في الوقت نفسه الذي يقل فيه نشاط الحصين.. وربما تُفسر النتائج أن بعض الأشخاص الذين تعرضوا لصدمات ما ثم حاولوا نسيانها.. يُظهرون قدرة ضعيفة على تذكر أحداث الحياة اليومية وفق ما يقول بعض الخبراء الذين لم يشاركوا في هذه الدراسة.. وباستثناء فقدان الذاكرة المؤقتة فإن كبت الذكريات عند الحاجة يمكن أن يكون مهارة مفيدة كما يقول اندرسون..

لهذا السبب عكف أندرسون وزميلته آناكاتارينو على دراسة ما إذا كان من الممكن تدريب الأشخاص على ذلك الفن.. إذ أجروا تجربة يرصدون من خلالها النشاط الذهني للمشاركين

بصورة آنية.. وقدموا تغذية استرجاعية لفظية بشأن مدى تعرض نشاط الحصين للتنشيط.. ويفترض الباحثان أن هذه النتيجة يمكن أن تساعد الأشخاص في تعلم كيفية تحسين قدرتهم على نسيان الماضي بصورة انتقائية.. وهي قدرة يمكنها على وجه الخصوص تخفيف الألم الذي يشعر به المصابون باضطراب ما بعد الصدمة..

لكن ومع هذا.. إلا أن كل حقيقة علمية ندرناها ونعلمها.. قد تُختزل فجأة في لحظة انغماسنا في وهم المشاعر والأحاسيس والذكريات.. لذلك تظل الحقيقة التي يصدقها الإنسان.. والتي على اثرها يبنى منهجية جديدة للنسيان.. هي حقيقة تجاربنا الماضية.. لذلك فإن أبرز ما يقينا فكرة التكرار ويساعدنا على النسيان.. ومن أجل أن نكون أصحاب سعادة لا تنتهي ولن تنتهي بمجرد فشل قصة من قصصنا.. فما علينا إلا أن نأخذ من تجربة أيامنا عبرة سنين.. وأن نتبنى برودة الأعصاب لجميع أيامنا القادمة لأن الحياة أقوى وأبسط وأكبر مكرراً وأشد طيبة من أن نتنكر لها بزي لا يليق بنا.. أو أن نجبر أنفسنا على أن نعيش حياة لا تشبهنا وتؤدي بنا حتماً إلى الهاوية.. وكل ذلك من أجل إرضاء

أو كسب شخص أو تحقيق غاية، كان أكبر همنا أن نصل إليها نبرهن الحكاية تراجعياً.. ونخوض محور النفسية المتعبة التي حللت وفسرت الكثير.. وقالت في نفسها: إن كل هؤلاء الذين يلجئون إلى أصناف الغش المتنوعة قد نجحوا ووصلوا إلى كل ما يريدون وكل الذين خاضوا علاقات متنوعة في طرق غير سوية.. قد نالوا مبتغاهم أيضاً وتزوجوا ممن يحبون.. وكل الذين مكروا وخادعوا لزالوا يعيشون حياة طبيعية سعيدة.. لتلجأ الذات إلى ذاتها وتقول: وأنا التي دمرت نفسي بمثاليتي الزائدة وبضميري الذي لا ينطفئ.. لازلتي إلى حد كل يوم أعيش معاناة الحالم الذي لا يستطيع أن يصل إلى شيء مطلقاً مهما فعل ومهما حاول الوصول..

ثم بعدها ندخل في صراع نفسي كبير مع أنفسنا بعد كل خيبة.. صراع قد لا ينتهي بسهولة.. خاصة عندما تكون شدة الاختبارات الربانية مازالت مستمرة.. هنا وفي تلك الحالة التي تتعرض فيها النفوس المؤمنة إلى احتكاك شديد مع الابتلاء.. فإن إيمانها الذي كان يستقر عند التحمل.. سيتخطى خطوة أخرى من البحث والتدقيق.. في طريق نبحت فيه بشدة عن مسكنات لأسئلة العقل كي ترتاح بها النفس وتطمئن..!

لتبقى في ذلك هذه الحقائق.. حقائق استدرابية.. فلو كان على قدر ارتفاع الصلاح وفعل الخير في الحياة تنخفض وتيرة الابتلاءات.. وعلى قدر ارتفاع الشر ينال صاحب الشر مقدار ابتلاءاته.. لما بقي في الحياة شرا يُذكر.. ولتسابق الجميع نحو الخير بدون تفكير من أجل الهرب من الابتلاءات..

لكن الحقيقة ظلت شائكة.. ووضعت الإنسان في حرج كبير.. فإما أن يتبع ذلك الإنسان طريق الوصول إلى ما يريد في أقصر طريق دون أن يركز في الطرق المنتهجة فيما إن كانت تتماشى مع العقيدة السوية أم لا.. وإما أن يتبع أخلاق العقيدة الصحيحة ويتحمل أجواء التحديات ضد كل أخلاق الفساد التي يمارسها المجتمع من أجل الوصول إلى غايته..

وهنا يتحول السراب إلى حقائق مبهمة في داخلنا.. فالعقل يقول بأنه توجد حقائق يُراد بها أن تُفهم.. واشتباكات الواقع تزيد من حبكة العقل بأن منهجيته في التفكير هي منهجية روتينية وتخلو من المساس الحي..!

حينها يشعر الإنسان حقا أنه في وهم كبير.. لكنه مليء بالحقائق.. وأنه حقا ليس بحاجة لنسيان لكي ينسى.. وإنما هو فقط بحاجة إلى علم يوصله إلى طريق اليقين.. طريق يمشي به

بجرأة كبيرة وهو واثق من خطواته.. وواثق من مبادئه الصارمة في اتخاذ رأي مخالف.. رأي قد يتسبب له في خسارة كثير من أشياء الدنيا بمنظور الجميع.. لكن صاحب هذه القرارات سيظل ينظر إليها.. بأنها وحدها هي تلك القرارات الصائبة التي تساعد على نسيان متطلبات الشهوة وتخلصه من بدهة التفكير.. وذلك بارتقاء فكري يمتد إلى ما وراء الحياة.. وبنظرة تأملية يصنع بها موازين منطقية لهذا العالم.. وبرحلة استكشافية في مقاييس ضعفه يبرهن بها لنفسه في كل مرة بأن هذا الضعف الكبير الذي يتخلله.. والذي لا يستطيع به مقاومة مرض.. أو رمي وجع.. أو نسيان ألم.. أو الأقوى من ذلك.. ضمان الخلود والاستمرارية المؤبدة على هذه الحياة.. هي في الأصل كلها حقائق توحى بأنها توجد قوة أخرى فوق قوة الإنسان.. قوة تلجأ إليها أحاسيسنا في كل حين.. وهي بالضبط نفسها تلك القوة التي يرمي بها ذلك الباحث عن الراحة النفسية نفسه إليها.. دون أن يشعر.. ليجد نفسه أخيراً ولا شعوريا يواكب قوة الحقيقة التي تخفف عنه في كل مرة آلام الوهم الذي يعيشه..!

المرحلة

ربما معظم الحقيقة والجواب الأعمق قد نجده عند زاهد فنان يركب الطائرة.. وهو منغمس في جوه الذي تزور فيه أنفاسه أعماق الروح وهو متكئ على نافذة تلك الطائرة التي بدا شكلها جدا مرتفع.. ينظر ويتمعن بعينين مذبلتين ومليئتين برغبة الدموع.. وتلوحان على الحياة بوداع قاتل.. لم يفهم لأول مرة.. هل هو وداع صوفي لملذات الحياة.. أم وداع إنسان بغض النظر عن ديانته لأشياء تمثل أنصاف الجسد.. وأنصاف حياة الأعضاء.. لم يكن منظره مفهوما أبدا.. ففلسفة التحدث مع زاهد كانت أجمل متعة.. لأننا كنا نحس السعادة والقناعة منبثقة من تجاعيد الوجه الصغيرة..

في تلك اللحظة السعادة كانت أعمق.. والجميع كان يبحث عن تفاصيل تلك السعادة في أوتار الناي الحزين الذي كان مرسوما على وجهه.. والذي أطرب به شرايين العقول والقلوب.. وجندهم على طرب هادئ لانتظار فلسفة عميقة.. والتي كانت كل الإشارات توحى فيها بأنها فلسفة من نوع آخر تماما..! واستمرت تلك الفلسفة بأسئلة صامتة.. كان ذلك المرتحل يسأل بها نفسه بين لحظة وأخرى.. ترى هل كان يجب علي أن أسافر كل هذه المسافات لكي أنسى.. وأترك الدار والديار

وأنسى جميع ذكرياتي الجميلة فقط لأنها اختلطت مع ذكرياتي الأليمة.. وأي حادثة ولغز هذا يا ترى الذي أدخلت دفاتر حياتي وجعلني أراجع كينونتي مرة وإثان وثلاث.. وهل يعقل لحادثة بسيطة أن تفعل بي كل هذا وتجعلني فيلسوفا يغور في أعماق الكون.. لكي يبحث عن سر موجود ومجهول في آن واحد..؟! ويا ترى أي سر هذا الذي كشف لي اليوم بأن لذة القلب لا يمكن أن تتحقق له أبدا من دون لذة العقل! أي شفا صعبة هذه التي رمت بي إلى عالم البحث عن الإدراك قبل البحث عن السعادة.. وأي سعادة تلك التي جعلتني أبكي بالرغم من كل زهدي عن شهوات هذه الحياة..؟!
يكمل ذلك المرتحل حديثه قائلا:

نعم ربما رحلتي هذه ليست خطأ.. لأنني حقا أريد أن أرحل قبل أن تأكل الأيام متعة نسياني الأليم.. فليس من أعماق السعادة أبدا هو ذلك النسيان الذي تجبرنا عليه الثانية والدقيقة والساعة والأمد الطويل.. لأنني حقا ورغم الألم الذي يعصر قلبي وأنا أريد أن أفهم.. إلا أنني لازلت مصرا على أن لا أموت أحمقا..! إن هؤلاء الناس الذين أراهم وأنا على متن هذه الطائرة.. يبدون لي الآن على هيئة نمل صغير.. يعيشون حياة بلا وعي..

ويظنون أنهم سيعيشون كل الأمد.. ولكنه حقا مسكين ذلك الإنسان.. لأننا لو حلقنا بتفكيرنا بعيدا لوجدناه مثل النمل في أشياءه بالضبط.. بيوته هشة وحياته أكثر هشاشة.. فهو موضوع تحت مداس قوة أعظم.. و إن ديس عليه.. ذهب كل شيء..! وهذا الرحيل الباهت الذي أتى فجأة.. والذي تبدو ألوانه جد باهتة وممزوجة بين الأبيض والأسود.. ربما يكون هو الحل الأنسب لي.. لأنني حقا أريد أن استرجع فيه ألوان الحياة الحقيقية التي بدا شكلها مثل السراب بالنسبة لي..!

بعد عشرين سنة:

ثم بعد عهد طويل من تلك الغربة التي ظلّ ذلك المرتحل يبحث فيها بعمق عن روحه.. عاد أخيرا إلى دياره حاملا معه نفس أشياءه التي أخذها معه.. وهي دفتر وقلم.. والإرهاق يبدو عليه بقوة وكأنه لم ينم طيلة العشرين السنة التي غاب فيها.. طرق الباب فلم يفتح له أحد.. فأخرج المفتاح الصداً من جيبه وفتح به الباب.. ودخل البيت.. فإذا به سكون عميق يعم المكان.. نادى على أمه وأبوه واخوته فلم يجبه أحد..

وظل يستدير هنا وهناك ويتأمل المكان ببطء وبأحاسيس غير مفهومة من غموضها.. ثم فجأة لمح رسالة في ركن البيت.. فتحتها وظل يقرأ ما فيها.. وكان نصها:

« أخي.. أنا أختك الصغرى.. الأخت المحببة إلى قلبك.. كنت أعلم يا أخي بأنك ستعود يوما إلى منزلنا.. لأنني أدرك جيدا بأن القلب الذي تحمله في داخلك سيمنعك من أن تحرم نفسك فرصة لقاء أجمل ذكرياتك التي عشتها معنا في هذا المنزل.. والتي قضينا فيه معا أجمل تفاصيل حياتنا.. الآن وأنت تقرأ هذه الرسالة أريد أن أعتذر منك بشدة عن هذا الاستقبال البارد.. وذلك الصمت الرهيب الذي رحبك به بيتك..

إلى حد اليوم قد مرت خمسة عشرة سنة عن رحيلك.. ولا أعرف بعد كم من الوقت ستقرأ هذه الرسالة.. إلا ما أود أن أخبرك به الآن.. هو أن تلك المدة التي غبت فيها قد كانت كافية لرحيل أبويك عن هذه الحياة.. لقد مات الإثنان بعد صراع طويل مع المرض.. تاركين وراءهما فراغا كبيرا.. أما عن أخونا الأكبر فقد سافر في بعثة عمل إلى الخارج.. أين استقر وتزوج هناك.. وبالنسبة لتوأمك فقد مرضت مرضا نفسيا حاد بعدما رحلتم جميعا وهي الآن في مصحة نفسية.. أما عني أنا أيضا لم

استطع تحمل قساوة هذا البيت.. وأنا الآن أحمل حقيقتي ولا أعرف إلى أين وجهتي..»

أرجع ذلك الباحث عن السر الورقة إلى مكانها وتنهّد بعمق وابتسم ابتسامة خفيفة يسترسل بها أحاسيس مبعثرة.. وأخذ يتجول في البيت بخطى متثاقلة.. وكان أول ماوقف عنده هو ساحة البيت، بقي قرابة النصف ساعة وهو ينظر إليها.. والذاكرة تسترجع ذكرياته مع عائلته في كل ركن من أركان الساحة.. ويتذكر كيف كانوا يسهرون معا ويتبادلون شتى أنواع الأكل والضحك والسمر في ذلك المكان.. ثم التفت إلى جانبه فرأى شجرة العنب التي كانت تثمر صناديق من العنب قد ماتت هي الأخرى وفي الوقت الذي رأى فيه كوخ الدجاج.. سقطت دموعه مباشرة عندما رسمت مخيلته صورة أمه وهي تطعم الدجاج في كوخهم حينها أخرج الدفتر من معطفه وبقي يقرأ فيه مطولا.. ثم قام ماسحا دموعه مبتسما مغادرا البيت.. وكأن تلك الدقائق.. قد أكدت له نتيجة عمق فلسفة عشرين سنة.. والتي لخصها في مذكرة نسيان!

مذكرة نسيان

إن أجمل ورطة وقع فيها الإنسان في حياته هي « ورطة الحب » وهي الورطة الأم التي تُنسب إليها في الأصل كل النتائج الإنسانية بطريقة غير مباشرة..

إن الإنسان في هيئته هو النموذج المثالي لذلك الشيء الذي يدب على الأرض وفق طاقة شعورية كبيرة بداخله.. وتظل هذه الطاقة تتجدد فطريا من دون بطارية.. ومن دون أي وسائل شحن كهربائية أو غيرها.. وإنما هي طاقة ذات ميزة كائن حي.. لذلك فإن هذه الطاقة نجدها تبعث الحياة في كل شيء.. فكيف ذلك؟ إن طاقة الحب هي أصل كل طاقة في الإنسان.. فمن منطلق حب الإنسان لذاته فإنه ومن دون تفكير قد أشبع رغبته الأولى في الأكل والشرب والتنفس.. وأعطاهم حقا في فرصة الإستمتاع بتلك الملذات.. وفي نفس ذلك السياق تلك الأكسدة العضوية قد أدت مباشرة إلى توليد طاقة جديدة دفعته إلى استكمال طاقته في الحب.. وبموجب هذه الطاقة استطاع الإنسان أن يفرض تحديات عظيمة في الحياة.. فقد استطاع مثلا أن يخترع ويكتشف وينجز.. وكلها بسبب لذة حب دفينه.. فإذا كان المنظر العام لذلك الإختراع

والإكتشاف هو أنه على سبيل الحاجة.. فذلك يعني أيضا أنه على سبيل «الحب».. فمن منطلق حبه لذاته جند كل كيانه للبحث والاستكشاف لنفسه والتي انفجرت بموجبها كل طاقات ابداعاته.. ومن منطلق الحب أيضا وثقت العلاقات.. واستطعنا أن نجمع كما هائلا من المفاهيم الهامة من علاقاتنا.. ومن أمثلة هذه المصطلحات: الأخوة.. الصداقة.. الأمومة.. الأبوة.. العروبة.. العشرة الزوجية.. العشيرة.. القبيلة... إلخ وهي مفاهيم جد توثيقية.. فهي تبرز بوضوح حجم الصلة الإنسانية مع بعضها البعض.. وهو ما يؤكد لنا بأن الإنسان لا يمكن له أن يكتفي بذاته فقط من أجل تحقيق السعادة المطلقة في حياته..!

من جهة أخرى نحن لا نستطيع أن نستغني عن المفاهيم التكميلية التي توثق نشوة سعادة الإنسان في الحياة.. مثل النجاح.. التميز.. الانتصار.. الفوز.. الربح... وغيرها.. وهذه المفاهيم في أصلها العام هي مفاهيم ذات طابع إحصائي مستمر فشهوة الإنسان لا تكف عن الرجاء والتمني في أخذ النصيب الهائل من روح هذه الكلمات وإضافة لها ياء الملكية في النهاية لتصبح : نجاحي .. تميزي .. انتصاري .. فوزي وتمتد إلى الأشياء أيضا مثل: كراسي .. هاتفي.. منزلي.. سيارتي....

وبتنظيم المجموعة الأولى بمفاهيم الذاتية لتصبح على شكل:
 أخي.. أمي.. أبي.. زوجتي... الخ
 ومن هنا بالضبط تنطلق علاقة الإنسان مع الحب.. من باب
 حب الذات أولاً.. ثم حب كل شيء بإمكانه أن يسعد ذاته..!
 والسعادة التي يبحث عنها هي منطلق ذلك الحب إذن..!
 لنفسر بذلك أدق شهوات الإنسان بحبه لنفسه أولاً وقبل كل
 شيء.. إلا أن هذا الحب قد يضع الإنسان ومن دون أن يشعر
 في محنة جديدة وهي: « محنة القلق والخوف من المستقبل».
 فمن فرط هذا الحب يسود أرق الليالي.. فنجد الأم لا تستطيع
 أن تنام من كثرة تفكيرها في أبنائها.. فهي لا تكف عن التفكير في
 غربة المسافر.. وفي حال المريض وخوفها المستمر من امكانية
 موته و فقدانه.. ونجد الأب لا يستطيع أن ينام أيضا بسبب عدم
 مقدرته على امتلاك بيت ضخم يستقر فيه مع أولاده.. والبنت
 الكبيرة يؤرقها بشدة هاجس الزواج.. والطالب تطحنه فكرة عدم
 النجاح.. وأصحاب المناصب تضيع هويتهم أمام أنفسهم من كثرة
 القلق المستمر من ضياع مناصبهم..!
 وهكذا تمضي بنا الحياة جميعا.. تائهين.. خائفين.. محبطين.. قلقين..
 والخوف الأكبر هنا.. هو أن لا يبقَ الحب حبا وأن يتحول إلى

حب بنكهة التمرد والسطو والشر.. وتضيق براءة الحب ونقاوته
وذلك عند حرقة الخوف من ضياع أو ضياع ذلك الحب!..

كيف لنا أن ننسى مع كل هذا الحب؟

كم هو صعب علينا أن نقول لأم انفجرت بابنها طائرة في السماء
فيا أمي لا تبكي على ابنك المحترق.. وكم هو تعجيزي بأن نقول
لمريض السرطان.. لا تبكي ولا تتألم ولا تنزعج على شيء.. وكم
هو صعب جدا بأن نقول لتييم الأبوين لا تتحسر على شيء
فطعمها عادي!..

إننا لن نستطيع أن نفعل هذا واللحظة وجدت لتوثق المشاعر
والذاكرة لا يمكن لها أبدا أن تهرب من حدث اللحظة!..
لكن الأجل في هذه اللحظات هو أن تواكب النفس
سيكولوجية الأسئلة الكثيرة حينما تحس بأنها هي المستهدف
الوحيد في هذه الحياة.. وأن كل أنظمة الكون اتحدت لتعذبها
وأنها قليلة الحظ ومهما فعلت وحاولت فإنها لن تصل إلى ما
تريد أبدا.. لأنها تعرف جيدا صبغة ذلك الحظ الذي يلازمها..

لذلك سيكون السؤال الأعظم في تلك المواقف بالذات هو: لماذا أنا بالضبط دون غيري من كل هذا الألم..؟! ولماذا هذه اللعنة التي جعلت مني إنسانا غيبا مهما ظننت بأني قد فهت اللغز..! إن الإنسان تسيطر عليه شهوة أخرى غير شهوة الأكل والشرب والجنس وشهوة كل المألوفات على وجه الأرض، وهي شهوة سرها عظيم في القلب ونتائجها أعظم وأعظم على الإنسانية..! إنها شهوة السر الأعظم لفهم نظام هذا الكون والغوص في ملكوت خالقه والتدبر فيه.. والرغبة في معرفة سر الخلق وسر الوجود.. وماهية أفعالنا وقيمنا وسلوكياتنا على هذه الحياة، وضوابط تصرفاتنا واختياراتنا، وقيد مشاعرنا وأحاسيسنا.. وهذه الشهوة هي مفتاح كل راحة.. إلا أنها تظل سجينة في قلب الإنسان.. سجينة في زنزانة التغاضي والنسيان.. وذلك بسبب الخوف.. فهو يخاف أولا من نفسه.. يخاف من تلك الإرتعاشة الوجدانية عندما يغوص في أشياء يتهيأ له بأنها صعبة عليه جدا من حيث الفهم.. وأنه أشد جهلا من أن يفهم هذا النظام.. فتضمحل الرغبة ويغطيها الجهل وقلة الوعي.. أما النوع الثاني من الخوف الذي يسكن قلب الإنسان.. فهو الخوف من المجتمع وردود أفعاله الشاذة اتجاه من يبدي اهتماما بشغف

السمو بتفاصيل الروح.. واتجاه الباحث عن سمو الأمان في لحظات سكون تلك الروح في مستقرها ومستودعها..! وهذا الخوف والرهبة من دخول مغامرة جنون الفكر والأحاسيس هي بالضبط من تجعل الإنسان يعيش بجوار أسئلة السطحية دائما.. مثل المتمثلة في: لماذا أنا هو المستهدف الوحيد دائما في هذه الحياة..!

إن هذه الأسئلة تظل رمزية جدا لإنسان رأى العالم يتحرك أمامه ولا يلبث في نقطة واحدة.. عالم يتجول على مساح كواكب ومجرات و نجوم.. عالم حظينا بشرف الانتماء إليه.. والشرف الأكبر كان على هيئة أن هذا العالم قد خلق كله لنا..! عالم غاية الدقة في مكونات تفاصيل الأجزاء الدقيقة.. وكل شيء فيه يتحرك بحساب.. بداية من الذرة المتناهية في الصغر وصولا إلى الفلك العظيم.. مروراً بالإنسان الذي تبين فيه بأننا كلنا من أصل واحد.. ولكن لكل واحد منا طباعه وشكله وشخصيته الخاصة به.. وهذا ما يؤكد لنا بأنه يوجد فرق أعقد وأعمق في عالم الغير مريبات داخل الإنسان..

وربما هذه البصمات التركيبية لكل الناس.. والتي لم تقتصر على إنسان واحد فقط.. هي من يضمن لنا الراحة العقلية أولا..

وهي أن حواس الإنسان ستبقى دائما في خدمته.. وهذا النظام في جودة تشكيل الشعور سيبقى واحدا..

والإنسان إذا فكر جيدا فإنه سيجد بأن جودة هذا النظام ومساسها للناس جميعا من المؤكد أنها لم تُخلق عبثا.. وإنما صُنعت لأجل مشاعر ستعيشها كل الناس بصفة تداولية ومتنقلة..! الظاهر في الأمر ليس هكذا بالضبط.. فنحن نقف على فوارق عديدة بمختلف أنواعها في هذه الحياة.. وهذه الفوارق في الحقيقة هي من تصنع لنا طعم العيش.. وتلك الاختلافات في الطبائع والشخصيات هي السبب المباشر في خلق ديناميكية للحياة.. حياة نجد فيها المهدب والمشاكس.. العاقل والمجنون الوفي والخائن.. وكل أصناف الطباقي.. وهو ما يرسم لنا دنيا مبهمة مليئة بأجواء الحماس للتطلع على خبايا المستقبل.. وذلك الجو الحماسي الذي يتخلله كثير من أنواع التوتر خوفا على المستقبل.. هو من يولد لنا عالم الرغبة والقلق والآلام العميقة التي لا تستطيع أن تمحيها الذاكرة بسهولة.. وذلك باختصار لأن ذاكرة الجسد أقوى من أي ذاكرة أخرى..!

فاليتيم يتذكر حزن أمه بمجرد رؤيته لأم تداعب ابنها.. والمتشرد يتذكر تشرده بمجرد احساسه بالجوع.. والعقيم يتذكر ألم عقمه بمجرد رؤية الأطفال يلعبون..

وهكذا تظل إحياءات العالم كلها تذكر الإنسان وتستثير ألمه
حسب حاجته المذكورة في ذاكرة جسده..!
أي أن الإنسان لا يمكنه أن ينسى.. وكل شيء في العالم سيظل
يذكره بسبب جرحه..

لكن الأدهى في محاولتنا الفاشلة هو أن ذاكرة الإنسان لها
صبغة نسيان خاصة بها وذات جودة عالية الدقة.. فلولا نعمة
النسيان المودوعة فينا.. لما استطعنا أن نعيش بسهولة ونقاوم
كل هذا.. فمهما كان عمق جرحنا فهيكلة تفاصيل تركيبتنا كفيلة
حقا مع الأيام بأن ترمم جميع خراب أحاسيسنا.. وتبقى لنا بعدها
حرية الاختيار في ذلك.. فإن كانت وضعيتنا غير مناسبة فربما
حتى جروحنا ستشفى بطريقة خاطئة.. وإن لم نكن مستعدين
للنسيان فلن ننسى.. وإن نسينا فإنه لن تكون لنا أي بصمة في
النسيان.. لأن النسيان هو في الأصل فن..!

إن أجمل ما قد يُصنف فيه النسيان أنه فن من الفنون الراقية،
فن تشكيلي أصيل بإمكاننا أن ننحت عليه طاقة أحاسيسنا
ونستثمر فيه كل مكبوتاتنا..!

ومنطلق هذا الفن الرائع هو أنه لا شيء أبدا يستحق منا أن نحرق أعصابنا لأجله.. وأن أجسادنا هي أمانة عندنا.. ومن الواجب علينا أن نعطف عليها بكل ما أوتينا بإحساس.. وأن لا ندعها تتذكر إلا وظائفها الحيوية التي خلقت لأجلها.. بوقار واتزان ونهج الصراط المستقيم..

وأن نتذكر جيدا.. بأن تلك الأيام بفرحها وحزنها ستتداول بين الناس.. ومن الروعة والإبداع الفكري أن يخلق كل منا ذلك الإتيان الراقى بين تذكره لهذه الحقيقة وبين تسلميه المطلق بها وأن الإنسان في دار ابتلاء.. وأنه لا أحد أبدا سينجى من أزمة ذكريات أليمة مرت به.. ثم بعد ذلك مباشرة نقرر نسيان تلك الذكريات من منطلق إيماني بحت..

هنا سترقى النفسيات إلى أعلى درجات روحانياتها.. وستطفو على سحاب الاستقرار والهدوء والطمأنينة.. لأن النفس تكون قد انتقلت حينها إلى مفهوم جديد.. تدركه دون أن تشقى.. وهو تفسير حقيقة الأيام المتداولة بين الناس..

أي أن الغاية النفسية قد تحققت وساد منطق القبول والعدل في القلب.. وأدرك المجروح بأن ذلك الجرح سيخرج منه.. ليأتيه ما كان عند غيره من فرح وسعادة وفرح..

وإن استطعنا أن نصل إلى تلك المرحلة فإن غاياتنا في الحياة ستتغير.. وستصبح الذكريات ونيسا لنا.. نتذكرها متى شئنا وننساها متى أردنا.. لأننا حينها نكون قد بلغنا المنتهى من اليقين بأن هذه الحياة ما هي إلا أياما مارة.. فالحزن الذي عشناه مثلا قبل سنين من الآن قد مرّ ونسيناه.. والفرح الذي عاشه صديقا لنا في نفس ذلك اليوم قد مرّ أيضا ونساه.. وألم قيس على فقدان ليلي قد اندثر وأصبحا معا تحت التراب.. وأوجاع ألف ليلة و ليلة قد مرت ولم يبق لأصحابها وجود.. وانتهى كل شيء للذين سبقونا.. انتهت حياتهم.. وحتى الحياة ربما قد تكون نست أنهم كانوا عليها.. إلا بضعة منهم.. هؤلاء الذين أدركوا يوما بأن النسيان طبع قبل كل شيء.. وهو خارج عن إرادة الإنسان في أحيانا كثيرة أخرى.. فألفوا و كتبوا ورسوموا وبحثوا و اخترعوا.. ثم رحلوا وتركوا لنا إنجازات رائعة تجبرنا على تذكرهم دائما وعدم نسيانهم.. تركوا لنا رسالة سامية في سيكولوجية فن النسيان.. وهي تبرهن فكرة أنس الذكريات لنا.. وهي أن نتعايش مع جميع أحزاننا و ذكرياتنا المؤلمة بصحبة الصديق الحميم.. وبألقة كبيرة.. وبجزء لا يتجزأ منا.. وأنا مطالبون براعيتها مثل أي شيء يخلصنا فلا نعلم في أي وقت نحتاجها، ولا نعلم في أي وقت ستصبح تلك الذكريات ورقة رابحة لنا..

ثم وإن استطعنا أن نوثق تلك العاطفة الحميمة بيننا.. فإن النسيان في تلك اللحظة سيصبح هو نفسه التذكر.. والتذكر هو نفسه النسيان.. ولا خوف أبدا بعد ذلك من أي منهما.. لأن وصال الخير والسعادة والقبول أصبحت متوفرة في القلب.. وأصبحت الغاية الإنسانية أسمى من أن نبقى واقفين نتظر رجوع أحد ربما لن يعود ونسانا نهائيا وحذفنا من قائمة ذكرياته.. وقد يُبعث لنا البديل الأحسن في يوم من الأيام.. أو أن نتحسر على فرصة ضائعة.. ربما كانت آثارها السلبية أكثر بكثير من الإيجابية بعدها.. أو أن نعيش قهرا على ألم أصابنا أو مرض ألمّ بنا.. ونحن ندرك أن في ثباتنا خير ومنفعة..

وهنا تكمن السعادة الحقيقية.. تكمن في ذلك الفن الراقى للنسيان.. وهي أن ننسى دون أن ننسى.. وأن نتذكر إن نسينا..

ثم نعيش مع النسيان من منطلق الحب فقط..!

ومن روعات مظاهر حبنا مع النسيان.. هو أن نعيش كل لحظة نريد فيها القفز إلى حالة جديدة أكثر انتعاشا.. بشخصيات ومبادئ ثابتة.. بحب وإخلاص للحظة وللجميع.. دون أن نكره أو نحقد على أحد.. بل العكس تماما إن أنسب سلوكا للنسيان هو أن نملاً قلوبنا بالحب..

فالحب هو ميزة الجمال.. ميزة الخير.. ميزة العطاء الذي ينبثق من القلب بلا قيود.. فيزيل عتمة النفسيات ويشعل الأضواء في أركان الجسم.. لتضاء أجزاء من العالم بذلك النور.. ونكون بذلك قد وصلنا إلى نسيان دون أن نخسر شيئاً من أشياء قلوبنا الجميلة..! وهكذا ترتاح الفطرة وتزيل عنها أضغاث المشاعر.. وتعيش ببساطة ومن دون تكلف.. فدائرية الذاكرة تعود بنا في كل مرة إلى الوهم الذي نعيشه على هذه الكرة الأرضية.. وكلنا سواسية في منطلق ونهاية قصتنا.. فجميعنا وجوده يبدأ بالحياة وينتهي بالموت.. وهذه هي الحقيقة الأبدية التي من شأنها أن تلغي كل التفاصيل.. والذكي هو من تعلق بهذه التفاصيل بفن وبحب شفاف يحفظ الأخلاق والود العميق في مداعبة حس الأشياء والأشخاص.. بنكهة أننا كلنا ماضون وراحلون.. وأن أجمل ما قد نفعله في هذه الحياة لأجل شرف اللقاء يوماً ما في أجمل الأماكن هو أن نعيش بطهارة أحاسيسنا مهما حصل..!

أما عن اللغز الذي ظلت تفاصيل طرحه غامضة.. وتشاكس معطياته أشد غموضاً.. فربما يكون هو نفسه ذلك اللغز الذي لأجله وُجدنا.. ولأجله نحيا.. ولعمقه نحاول أن نفهم كل شيء..! وينتهي المترحل حوصلة رحلته قائلاً: لقد سافرت وحلقت وابتعدت.. ثم رجعت من حيث انطلقت وجلست بجانب الغاز

الحياة متمعنا في بساطة وعمق الحياة التي نعيش عليها..
فما وجدت لأنفسنا بصمة أجمل من بصمة التذكر.. وما وجدت
لأرواحنا لمسة أجمل من لمسة النسيان.. وفي ثنايا الحياة حتما
سنجد الجواب لكل سؤال.. لأن واضح اللغز لم يخلقنا عبثا
لتركنا الدنيا للعدم والنسيان.. وذلك منتهى اليقين!

قالوا عند النسيان :

* التذكار شكل من أشكال اللقاء، النسيان شكل من أشكال الحرية

جبران خليل جبران

* الحياة فيض من الذكريات تصب في بحر النسيان، أما الموت فهو الحقيقة الراسخة *

نجيب محفوظ

* نسيان غاية المرء هو أكثر أشكال الغباء انتشارا*

فريدريك نيتشه

* نسيان الحق خيانة والإنشغال عنه دناءة *

أحمد بن عطا الله السكندري

* يوجد فرق كبير بين الصفح والنسيان *

باولو كويلو

* إن كل يوم يجلب معه الصراع نفسه، الخواء نفسه، الرغبة نفسها
في النسيان وفي عدم النسيان *

بول أوستر

* النسيان هو تدريب الخيال على احترام الواقع *

محمود درويش

* التسامح أرقى أنواع النسيان *

كروستوفر شولز

* لولا نعمة النسيان لما بدأنا حياة جديدة في كل يوم *

فولتير

* النسيان خيانة للوجع *

حجي جابر

* رائحة الذكرى تلتصق دائما بكل الأشياء، بكل الأماكن، بكل
الأشخاص، لا نسيان يجدي معها ولا تناسي *

سلمى مهدي

*البعض يستعصي على النسيان كثيرا ولا يضاف إلى قائمة الغائبين مهما حاولنا، و يبقى حاضرا في كل الأشياء حولنا، يبقى ما بقي من العمر *

شهرزاد الخليج

* لكن أحيانا في اللحظة التي نتمنى فيها النسيان تغمس الأقدار أرواحنا في الذكرى أكثر *

نور عبد المجيد

* و يبقى شيء من عبق الماضي عالق بنا رغم الزمن.. شيء تعجز يد النسيان أن تطاله.. *

شيء من الماضي

* بقدر إيمانك يسهل خروجك من محن القلب وفوزك بنعمة النسيان لأن الإيمان يضعك في مكانة فوقية يصغر أمامها ظلم البشر *

أحلام مستغانمي

*إن نسيان الله ليس عمل العقل، ولكنه عمل الغفلة والأمن وطول
السلامة *

مصطفى صادق الرافعي

*طلب الحرية بغير طلب الله يؤول حتما إلى نسيان الحرية، بل
إلى طلب نقيضها *

طه عبد الرحمن

*رُفِعَ عن أمتي ثلاث: الخطأ والنسيان وما استكروها عليه *

محمد صلى الله عليه و سلم

**إن قدرتنا الضعيفة لا تقوى على أن تمسح
ذكريات الماضي .. ولكن أجمل ما فينا ..
هو أن نجعل قلوبنا تتسع لكلا ماضي ..
وتلك هي سعادة نسيان**

فهرس

سعادة نسيان



الصفحة	العنوان
12	اللغز
	نسيان
26	دائرية الذاكرة
31	ذاكرة الفواصل
36	الاكتشاف
	الوهم
51	اللحظة
54	الباب المغلق
60	الشهوة
65	الوداع
72	السقوط
75	عالم ما فوق الواقع
80	الحريق
83	الخطأ
87	حقائق في الوهم
	الرحلة
106	مذكرة نسيان

